



قطاع الثقافة

مكتبة الشعراوى الإسلامية



المعجزة الكبرى

فضيلة الشيخ

محمد متولى الشعراوى



رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم سعيد

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَلَامٌ عَلَى مَنْ حَفَظَهُ اللَّهُ

سَادِيٌّ اللَّهُ أَمْرَهُ تَكْرِهُ حَنْدُوكْ بَلْبَ

الآن نحن نعلمكم خاصية مل

طريقه ايجوي ونف رائيني الالمانيه نورمان

مقدمة نبذة في المذهب والتفصيل

محمد سعیدی (العرفوی)

الإخراج التلفزي

مکتبہ الکریم

لغات

أحادية أهل بيته

الفصل الأول

قبل المعجزة



الرسول .. والرسالة

أيد الله سبحانه وتعالى رسوله
محمدًا ﷺ بمعجزات كثيرة ، هذه
المعجزات بعضها مادى ، يراه
الناس ، فقد نبع الماء من بين
أصابعه الشريفة ، وكان الغمام
يظلله أينما سار ، وانشق له القمر ، وغيرها كثير .

ولكن هناك معجزة كبرى لم يُتَح لبشر أن يطلع عليها ،
بلغ فيها رسول الله ﷺ سدرة المنتهى وتجاوزها ليرى
الأية الكبرى لله في السموات ، ووصل ﷺ إلى منزلة
أعلى من منزلة جبريل عليه السلام ، أقرب الملائكة إلى
الله جل جلاله ، فعند سدرة المنتهى توقف جبريل ليتقدم
رسول الله ﷺ .. وقال جبريل للرسول الكريم : أنت يا
رسول الله ، إنْ تقدمتَ اخترقتَ ، وأنا إنْ تقدمتُ
احتربتُ .

وهذا الكتاب عن المعجزة الكبرى التي خص بها الله
رسوله ﷺ وهي الإسراء والمعراج ، فما من نبى صعد
إلى السموات ، حتى بلغ سدرة المنتهى وتجاوزها ، ثم
عاد في نفس الليلة ليكمل حياته على الأرض إلا خاتم
الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ .

وحيينما نتحدث عن معجزة الإسراء والمعراج ، فلا بد

أن يسبق ذلك حديث عن الأسباب التي سبقت المعجزة ، أو التي حدثت من أجلها المعجزة ، رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء ، وصاحب الخلق العظيم ، بُعث بالرسالة الخاتمة إلى الدنيا كلها .

وأعدَّ ﷺ إعداداً إلهياً لتحمل الرسالة الكبرى ، خاتم رسالات السماء إلى الأرض ، فجعله ربه أميناً لا يقرأ ولا يكتب ، حتى لا يقال : إنه أخذ عن حضارات الأمم السابقة ، أو أنه تعلم على يد معلم فروي له وعلمه .

ولكن الله - سبحانه وتعالى - أراد أن يكون هو وحده المعلم لرسوله الكريم ، وأن يكون تلقّى العلم لرسول الله ﷺ من الله جل جلاله مباشرة ، ودون أيٍّ حضارة أرضية ، وكانت هذه في حد ذاتها معجزة ، أن يختار الله - سبحانه وتعالى - رسولاً أميناً .. ثم يجعله معلماً للبشرية كلها إلى يوم القيمة .

وهكذا نشأ محمد ﷺ ، لم يجلس إلى معلم ، ولم يعرف عن حضارة الدنيا شيئاً ، ولم يقرأ حرفاً في حياته ، ولذلك عندما نزل جبريل - عليه السلام - بأول آية من القرآن الكريم وقال : «أقرا .. ①» [العلق] رد رسول الله ﷺ بفطرته السليمة « ما أنا بقاريء » أي : لا أعرف القراءة والكتابة .

ولكن المَلَكَ ضم رسول الله ﷺ إليه ، وقال له :

﴿أَفْرَأَ.. (١)﴾ [العلق] للمرة الثانية .. ورد الرسول الكريم ﷺ قائلاً : « ما أنا بقاريء » .. وتكرر نفس المشهد للمرة الثالثة .

والسؤال هنا .. ألم يكن الحق - سبحانه وتعالى - الذي أرسل جبريل عليه السلام يعرف أن مهداً ﷺ لا يقرأ ولا يكتب ؟ إنه هو الذي اختاره أمياً ، وأعلن ذلك في التوراة والإنجيل وفي الكتب السماوية .. قبل أن تبدأ حياة رسولنا الكريم على هذه الأرض بوقت طويل .

وإذا قرأت قول الحق سبحانه وتعالى :
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ .. (١٥٧)﴾ [الأعراف]

تجد أن هذه الآية الكريمة قد نزلت بعد أن حكى الحق - سبحانه وتعالى - قصة اليهود عندما عبدوا العجل ، وكيف أن موسى - عليه السلام - اختار من قومه سبعين رجلاً .

وكلمة اختار معناها أن ما فعله موسى هو فعل اختياري يستخدم فيه العقل ، اختار موسى - عليه السلام - سبعين رجلاً .. رجل من كل سبط من أسباط اليهود .. حتى تكون كل فرق اليهود ممثلاً .

وفي الموعد المحدد للقاء الله .. أراد الله - جل جلاله - أن ينبئه قوم موسى إلى خطورة ما فعلوه بعبادتهم العجل ،

فأخذتهم الرجفة وهي الزلزال الشديد ، الذى يهز الإنسان هزاً عنيفاً بحيث يحس أن روحه تكاد تغادر جسده . وكانت هذه الرجفة عقاباً على أن هؤلاء الرجال لم يقاوموا اليهود الذين عبدوا العجل مقاومة جدية وعنيفة . وهذا تضرع موسى إلى ربه وقال : يا رب .. أنت أرحم من أن تهلكنا بما فعل السفهاء منا ، فاكتب لنا رحمة في الدنيا والآخرة ، ثم أنبأ الحق - سبحانه وتعالى - موسى ليبلغ قومه بأن رحمة الله مكتوبة للذين يتبعون الرسول النبى الأمى .

وهكذا نعرف أن الله - سبحانه وتعالى - اختار رسوله أمياً منذ الأزل ، وهذا إعجاز للرسول الكريم صلوات الله عليه ، حتى لا يقال : إنه قرأ في كتب الأولين .. أو جلس إلى معلم .

إذن : فجبريل ناطقاً بالوحى .. مُرْسلاً بكلام الله .. قائلًا إقرأ .. كان يقصد معنى آخر غير القراءة والكتابة الدنيوية .

ولذلك جاءت الآية الكريمة :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)
اقْرَأْ وَرَبِّكَ الْأَكْرَمَ (٣) الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَ (٤) عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ
يَعْلَمْ (٥) ﴾ [العلق]

فالحق - تبارك وتعالى - يريد أن يلفتنا إلى أن رسوله الكريم الأمى سيعلمه الله ليكون مُعلماً للبشرية كلها إلى يوم القيمة .

الحق والظلم

واختار الله - سبحانه وتعالى - رسوله مشهوداً له بالصدق من قومه ، فقد عاش بينهم أربعين سنة قبلبعث بالرسالة ، لم يعرفوا عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذباً قط .. وكان - وهو الملقب بالأمين - يحفظ عنده الناس ما يخافون عليه من أغلى ما يملكون .

ثم كلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة ، وطلب منه - عليه السلام - أن يجهر بالدعوة ، ولكن سادة قريش وزعماءهم تصدوا له ؛ لأنهم رأوا في دعوته عليه الصلاة والسلام نهاية لظلمهم وضيائعاً لنفوذهم ، فبدأوا يحاربون الدين الجديد من أول يوم ، ذلك الدين الذي جاء ليسوى بين السيد والعبد ، ويعطى الحقوق لأصحابها .

وكانت صيحة الإسلام قوية في آذان أئمة قريش ، فززلتهم ، وجعلتهم يحاولون أن يحتووا هذا الدين الجديد بأية وسيلة ، وكان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمايتان يحميانه من الإيذاء الخارجي بنفوذهما ، فكانت قريش لا تستطيع أن تتعرض لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإيذاء مباشر ، الأولى : حماية عمه أبي طالب .

أما الحماية الثانية فكانت من زوجته السيدة خديجة - رضي الله عنها - التي كانت خير سكن لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فإذا عاد إلى البيت أخذت تُسرى عنه ما يلقاء من عناء
قريش وأضطهادهم ، فتمسح بيدها كل آثار ما لاقاه
رسول الله ﷺ من عنك وعذاب .

وببدأ قادة قريش وزعماؤهم يبحثون عن حل ، إزاء هذا الدين الجديد ، الذي جاء ليسابهم سلطانهم ونفوذهם الدنيوي ، وكان أول ما فكروا فيه .. هو أن يعطوا رسول الله ﷺ ما يريد من جاه الدنيا ، لينصرف عن هذه الدعوة ، ولأنهم عبدة دنيا فكانوا يعتقدون أن المال أو السلطان أو النفوذ .. هو هدف رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فاجتمعوا وقالوا : نعطيه الدنيا لعله يترك هذه الدعوة وينصرف عنها .

وذهبوا إلى عمّه أبي طالب ، ليعرض على رسول الله ﷺ عرضهم الدنيوي . قالوا : إن كنت جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإنْ كنت تطلب الشرف فيينا سَوْدَنَا عَلَيْنَا ، وإنْ كنت تريد ملكاً ملَكَنَا عَلَيْنَا ، وإنْ كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك (وهو يقصدون بذلك الوحى) رئياً تراه قد غالب عليك (الرئى هو الجن) ، بذلنا من أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه .

ولكن كل هذه العروض ومغريات الدنيا .. لم تُثرْ في

نفس رسول الله ﷺ ولا قطرة من الإغراء ، فقد جاء يدعو الناس إلى العمل من أجل الآخرة ، ولم يجيء ليغريهم بمال الدنيا وسلطانها ؛ لأن الآخرة هي الحياة الحقيقية للإنسان ، وفيها الخلود ، وفيها النعيم بقدرة الله سبحانه وتعالى .. وفيها من النعم ما لا عَيْنٌ رأَتْ ، ولا أذن سمعَتْ ، ولا خطر على قلب بشر .

وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِ الْحَيَّانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت ٦٤] ولذلك حينما أراد أبو طالب أن يقنعه بالعرض الدنيوي ، الذي تقدم به كفار قريش ، قال رسول الله ﷺ : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أبلغ هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته » .

محاولة التشكيك والتعذيب

وهكذا فشل الإغراء الديني ، وأحسَّ كفار قريش وهم يرون الدين الجديد يزداد انتشاراً ، أنهم لا بد أن يبحثوا عن وسيلة أخرى .. يواجهون بها دعوة رسول الله ﷺ فقالوا : نُشكِّك أتباعه في الرسالة ، ندخل الشك إلى قلوبهم في أنه ليس رسولاً ، فإذا دخل الشك في قلوبهم ، انصرفوا عنه وانتهت الدعوة .

وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]

وهكذا ردت السماء على الكفار ، وفشلت المرحلة الثانية ، واقتنعوا أنهم إن لم يستطعوا إغراء رسول الله ﷺ أو التشكيك في رسالته ، فإنهم لا بد أن يبحثوا له عن طريق آخر ، هو أن يُعذبوا كل من اتبع دين محمد وأمن برسالته تعذيباً وحشياً يصل إلى القتل ، حينئذ سينصرف الناس عن الدعوة خوفاً من بطش سادة قريش ، ولا يجد رسول الله ﷺ من يؤمن برسالته .

وببدأ التعذيب ، ولم يكن هناك من يحمي أتباع رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فقد كانوا ضعفاء ، وكانوا قلة ، وكانوا أذلة ، ولم يكن أمامهم إلا تحمل التعذيب .

وكان آل ياسر الذين جاءوا من اليمن وأسلموا في
مكة ، هم أول شهداء في الإسلام ، كان الأب هو ياسر ،
والأم سمية ، والابن عمار بن ياسر .. حاول أبو جهل
والكفار معه أن يفتنوهم عن دينهم فلم يفلحوا ، فأخذوهم
إلى البطحاء (أى الصحراء) بعيداً عن قلب مكة وأخذوا
يعذبونهم .

ومر رسول الله ﷺ عليهم ، وهم يُعذّبون فقال :
« صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة » .. واستمر التعذيب
حتى استشهدت سمية بطعنة في بطنهما من حربة أبي
جهل ، وكذلك استشهد زوجها .

بشرة السماء

وتواترت أحداث التعذيب على كل منْ آمن برسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - ولكن هذا لم يجعل أحداً من الذين آمنوا .. يرتد عن إيمانه ، بل كانوا يزدادون إيماناً وتمسكاً بدينهم ، ويرددون لهم يُعذّبون : أحد .. أحد .. وكانت هذه الكلمة تزلزل الكفار من الداخل ، وتجعلهم يُعذّبون المسلمين بقسوة وغلظة وضراوة ، والسماء ترقب ما يحدث . والقرآن يُبَشِّرَ المسلمين بالنصر ، وبأنهم هم الذين سَيَغْلِبُونَ وينتصرون .

وينزل قول الحق - تبارك وتعالى :

﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [القمر]

ويقرأ رسول الله ﷺ الآية الكريمة ، ويقول عمر رضي الله عنه : أى جمع هذا ونحن قلة وأذلة ؟ وتمضي السنوات ، ويلتقى المسلمون والكافار في غزوة بدر ، ويُهزم الكفار ، ويفردون من أرض المعركة ، بعد أن قُتل منهم أكثر من سبعين من زعماء قريش .. ويقف عمر بن الخطاب وقد وضع التأثير الشديد على وجهه ، وهو يقول : صدقت يا رب .

﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [القمر]

وهنا لنا وَقْفَةٌ ، ألم يكن الله سبحانه وتعالى قادرًا على

أن ينصر دينه من أول يوم ؟ ألم يكن جل جلاله قادرًا على أن يجعل أئمة قريش أول من يؤمن ؟

نقول : إن الله - سبحانه وتعالى - أراد أن يكون المسلمين الأوائل هم قمة الإيمان ، لا تغرهُم دنيا ، ولا يفتنهم مال ، ولا يريدون شيئاً إلا الإيمان والتقوى ؛ ولذلك جعلهم قلة .. وجعلهم أذلة دنيوياً فقط .. حتى لا يدخل هذا الدين إلا صادقُ الإيمان ، الذي يضحي بماله وولده ، وكل ما يملك من مقومات الحياة في سبيل الله .

ذلك أن هؤلاء المؤمنين الأوائل ، هم الذين سيحملون الدعوة إلى الدنيا كلها .

ولتصل الدعوة طاهرة نقية كما نزلت .. لابد إلا يكون في صدور هؤلاء المؤمنين الأوائل ذرة من الدنيا ، إنهم سيفتحون بلاد العالم ، وتُعرض عليهم الثروات ، وتفتح لهم أبواب القصور .

لو كان في قلوبهم ذرة من حب الدنيا مالوا إليها ، وإذا مالوا ، ضاعت قضية الدين في أول الدعوة .

ولذلك ؟ لو بدأ الإسلام بأصحاب النفوذ في الدنيا وأصحاب الأموال ، لأمن الناس نفاقاً ورياء .. وتقرباً من أصحاب النفوذ والسلطان ، تماماً كما يحيط المنافقون بكل حاكم أو صاحب دنيا ، ولأنصرفوا بعد ذلك عن الدين في

أول أزمة ، كما ينصرف المنافقون من حول أى حاكم أو صاحب نفوذ إذا زال عنهم الجاه والسلطان .

فالله - سبحانه وتعالى - لا يريد لدينه أن يحمله المنافقون إلى أهل الأرض ؛ ليصبح سلعة تُباع وتُشتري ، وتتغير وتتبدل لمن يدفع الثمن ، لكنه يريد أن يحمل هذا الدين إلى الدنيا كلها .. صادقو الإيمان الذين لا يبيعون دينهم بدنياهم ، والذين يخافون الله أشد من خوفهم من الناس جميعاً فيقفون ليعلنوا كلمة الحق - دون رهبة أو خوف - ولا ينحرفون من أجل المال ومتاع الدنيا .

ولذلك كانت السنوات الأولى للإسلام سنوات تطهير واختبار للإيمان الصادق ، فلم يكن منْ يدخل هذا الدين ، ينال خيراً دنيوياً ، بل كان يدخله وفي قلبه ذلك الإيمان ، الذي يجعله يتتحمل كل شيء في سبيل إيمانه .. عقيدة صادقة في القلوب .. هذا ما أراده الله سبحانه وتعالى .

ولم تكن العقيدة الصادقة بالقول فقط ، ولكنها كانت بالتجربة الإيمانية الصادقة ، فهناك فرق بين القول وبين الأداء ، القول سهل ، لكن التجربة العملية هي الامتحان الحقيقي للنفس البشرية .

ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُرْكُوا وَلَمَا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ

يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَجْهَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
عَمِلُوْنَ (١٦) [التوبة]

وهكذا كانت بداية الإسلام ، وما تعرّض له المسلمون الأوائل من أنواع التعذيب والاضطهاد ، هي ما أراده الحق - تبارك وتعالى - لدينه ؛ ليظهر هذا الدين من المنافقين وضعاف الإيمان ، ولا يبقى فيه إلا أقوىاء الإيمان المخلصون لدينهم .

وتحمل رسول الله ﷺ وتحمل المؤمنون الإيذاء بصدر ورضاهم ، كانوا كلما واجهوا الصعاب ، وكلما تعرضوا للأذى .. ازدادوا التحاصقاً بدينهم وإيماناً بربهم ، وكلما زاد الاضطهاد كان تمسكهم بالدين أقوى .

وَزَادَ جُنُونٌ قُرْبِيْش

ولكن قريشاً كان يزداد جنونها كل يوم ، وذهبت إلى عبد المطلب عم رسول الله ﷺ تطلب منه أن يترك محمد - عليه الصلاة والسلام - الدعوة ، ودار حوار بين رسول الله ﷺ وعمه ، أُعلن فيه الرسول ﷺ تمسكه الكامل بالدعوة ، واهتز أبو طالب من موقف ابن أخيه الذي كان قمة في الإيمان ، وقال له : اذهب يا ابن أخي ، فقل ما أحببت ، فو الله لا أسلمك لشيء تكرهه أبداً .

وطلب أبو طالب من بني هاشم وبني عبد المطلب أن يمنعوا قريشاً عن رسول الله ﷺ فاستجابوا له جميعاً إلا أبا ل heb الذي كانت عداوته للإسلام ليس فوقها عداوة .

وهكذا كان رسول الله ﷺ وهو يتعرض لأقسى ما يتعرض لهنبي ، يحتمى بقومه من أذى قريش ، وتأتى خديجة - رضي الله عنها - فتمسح عنه ما يلاقيه من عناء في الدعوة إلى الله ، وأبو بكر يشتري العبيد الذين أسلموا ويعتقهم ، حتى ينجيهم من العذاب والموت .

وكان رسول الله ﷺ يتحمل الأذى وهو صابر ، يُلْقَوْنَ القاذورات في طريقه .. ويضعونها على ظهره وهو يصلى ، فيقابل كل هذا بكريم خلقه وعظيم سماحته .

وعندما اشتد الأذى على المسلمين أشار عليهم رسول

الله بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ أن يهاجروا إلى الحبشة هرباً من الظلم والطغيان .
وأسلم عمر بن الخطاب ، وأسلم حمزة بن عبد المطلب ، وكان كلاهما قوياً مرهوباً ، ولأول مرة صلى عمر بال المسلمين عند الكعبة ، بعد أن كانوا يؤدون صلاتهم في شعاب مكة ، خوفاً من أذى قريش ، وبدأ رسول الله بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ يدعو القبائل التي تأتي إلى مكة للحج ، أو للتبرك بالبيت الحرام ، أو للتجارة إلى الإسلام .

وأحسَّ قريش بالخطر الجسيم الذي يتهددها ، فبدأوا يحاولون تشويه دعوة الرسول الكريم .. قالوا : ساحر .. سحر الناس . وقالوا : شاعر . وقالوا : كاهن . ولكن كل هذه الدعوى سقطت .

فلو كان رسول الله بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ساحراً لسُّحر كفار قريش ؛ لأن المسحور لا إرادة له مع الساحر ، ولو كان - عليه الصلاة والسلام - شاعراً لاشتهر بالبلاغة في حياته ، ولكنه - عليه الصلاة والسلام - لم يقل بيتاً من الشعر ، أو أحس الناس ببلاغته .. طوال أربعين سنة عاشها معهم ، ولو كان - عليه الصلاة والسلام - كاهناً يأتي بالقرآن من عنده ، لتناقض مع نفسه ؛ لأن الإنسان ينسى مع السنين والزمن .

وجاء مدد السماء

ولكن كل هذا لم يفلح ، واستمرت الدعوة في طريقها تنتشر وتنشر ، وبنو هاشم وبنو عبد المطلب يحمون محمداً من إيذاء قريش ، وكان لا بد من إجراء آخر ، حتى يتخلّى بنو هاشم وبنو عبد المطلب عن حماية رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ .

ماذا تفعل قريش ؟ قرروا مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، وكانت سنوات المقاطعة ، التي عانى فيها رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ وال المسلمين من الجوع حتى أكلوا ورق الشجر . وكان صناديد قريش قد كتبوا كتاباً تعاقدوا فيه على مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب مقاطعة تامة ، فلا يبيعونهم شيئاً ولا يتعاونون منهم ، ولا يُزوجونهم ، ولا يتزوجون منهم ، وعلقوا هذا الكتاب داخل الكعبة .

واستمر الحصار حوالي ثلاثة سنوات ، كانت قريش ترجو خلالها أن يتخلّى بنو هاشم وبنو عبد المطلب عن محمد - عليه الصلاة والسلام - ويسلموه لهم ليفعلوا به ما يشاءون ، وسلط الله - سبحانه وتعالى - أرضه الأرض ، فأكلت هذه الصحيفة ، فيما عدا كلمة (باسمك اللهم) التي بدأت بها ، وأبلغ الوحي رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ بذلك ، فأبلغ عمه عبد المطلب الذي أبلغ كفار قريش ،

وانتهت هذه العملية بتمزيق الصحيفة .

ولكن ، هذا لم يكن النهاية ، فلم تمض شهور على تمزيق الصحيفة ، حتى فاجأت رسول الله ﷺ فاجعتان في عام واحد ، اهتزت لهما نفسه الشريفة ، مات عمه أبو طالب ، وماتت زوجته خديجة ، وسمى هذا العام عام الحزن .. وبعد أن فقد رسول الله ﷺ حماية عمه وحنان زوجته ازداد إيذاء الكفار المسلمين .
كما ازداد إيذاؤهم لرسول الله ﷺ الذي تحمل في صبر وجَدَ .

وضاق الرسول الكريم بإيذاء قريش ، وضاق بعناد الكفار من أهل مكة ، فخرج وحيداً دون أن يخبر أحداً إلى الطائف ، يلتمس من أهلها (بنى ثقيف) النُّصرة والمنعة ، ويدعوهم إلى الإسلام ، ولكنهم استقبلوه أسوأ استقبالاً .

سلطوا عليه ﷺ سفهاءهم يسبونه ويرمونه بالحجارة ، حتى دميت قدماه الشريفتان ، والتجأ إلى بستان يملكه عتبة وشيبة أبنا ربيعة ، وجلس في ظل شجرة ، وقد بلغ منه الحزن مَبْلَغه ، وهو يرى ﷺ جحود خلق الله ، دعوته إلى دين الحق .

لم يكن أمامه إلا السماء ، تلك التي كلفته بالرسالة

يُلْغِها للناس ، فقد استنفد ﷺ كل أسباب الأرض مع قومه ومع غيرهم ، لكنه ﷺ قُوبل بالإيذاء والجحود والنكران ، رفع رسول الله ﷺ أمره إلى السماء ، يشكو ظلم أهل الأرض ، فقال عليه الصلاة والسلام :

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين .. أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى .. إلى من تكلنى .. إلى بعيد يتجهمنى .. أو إلى عدو ملكته أمري .. إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لي .. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والأخرة من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل على سخطك .. لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

وكان لا بد من مدد من السماء يأتي إلى رسول الله ﷺ ؛ ليؤكد له : أنه إذا كان أهل الأرض قد تخروا عنه ، فإن ربه سيحتفى به فى ملکوت السماء ..

وعاد رسول الله ﷺ إلى مكة وحيداً كما خرج منها ، وعرفت قريش قصة الطائف ، فاشتد إيذاؤها لرسول الله ﷺ ومن آمنوا معه ..

وفي ليلة مباركة جاء مدد السماء ، وحدثت المعجزة « معجزة الإسراء والمعراج » ..

الفصل الثاني

سبحان الذي أسرى



رسول الله ﷺ تعرض لأذى
كثير من المشركين والكافر ، وفي
عام واحد ، هو عام الحزن ، ماتت
زوجته خديجة - رضي الله عنها -
وكانت سكناً له ، تداوى ما يلقاه
من مشقة في سبيل الدعوة ، كما مات في نفس العام عمه
أبو طالب الذي كان حماية خارجية له يحميه من الأذى .
وذهب رسول الله - عليه الصلاة والسلام - إلى
الطائف ، عليه يجد هناك منْ يسمع كلمة الحق ويؤمن
بدين الله ولكنه بدلاً من ذلك وجد الجحود والنكران ،
وسلطوا عليه سفهاءهم فأسمعواه ما يؤذيه ، وسلطوا عليه
الصبية فقذفوه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين ،
والتجأ إلى بستان هناك يلتمس الحماية ، وجلس رافعاً
يديه إلى السماء ، مناجياً ربه لما يلقاه من أهل الأرض .

والله سبحانه وتعالى هو القائل لرسوله الكريم :
﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضيقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا
وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (١٢٨) [النحل]

وعاد رسول الله ﷺ إلى مكة ، ولم يجد إلا المصعب
ابن عدى .. أحد كفار مكة ليجيره عند الدخول ، كل ما
تعرض له رسول الله ﷺ كان قاسياً على النفس ، فأراد

الحق - سبحانه وتعالى - أن يلفت رسوله الكريم .. أنه إذا ضاقت عليه الأرض فإن ملکوت السماء يحتفى به وييرحب به ، وأن ربه - الذى كلفه بهذه الرسالة السامية - بلا شك سينصره رغم كل هذه الشدائـد .

ومن هنا جاءت معجزة « الإسراء والمعراج » . وقبل أن نبدأ في الحديث عن المعجزة .. فإننا لا بد أن نلتفت إلى بداية سورة الإسراء التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى :

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعِبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا .. ١﴾ [العلق]

وببداية السورة بكلمة : ﴿سُبْحَانَ﴾ .. معناه التنزيه أى : تنزيه الله عز وجل عن أن يكون له مثيل .. في صفاتـه أو أفعالـه .. وسبـحان .. هي تنـزيه مطلق الله عن أن يكون له شـبيـه فيما خـلقـ : لا في الذـاتـ ، ولا في الصـفـاتـ ، ولا في الأـفـعالـ - فـاـشـ سـبـحانـهـ وـتـعـالـىـ موجودـ .. وـأـنـتـ مـوـجـودـ .. وـلـكـ ، هل وجودـكـ كـوـجـودـ اللهـ جـلـ جـلالـهـ ؟

اللهـ سـبـحانـهـ وـتـعـالـىـ سـمـيعـ .. وـأـنـتـ لـكـ سـمـعـ .. وـلـكـ سـمـعـكـ لـيـسـ كـسـمـعـ اللهـ .. اللهـ سـبـحانـهـ وـتـعـالـىـ لـهـ ذـاتـ وـكـيـانـ .. وـأـنـتـ لـكـ ذـاتـ وـكـيـانـ .. وـلـكـ لـاـ مـقـارـنةـ .

الفعل لله

من هنا ، فإنه إذا كان الله فعل .. فلا يمكن أن يقارن بفعال البشر .. بل إن فعل الله خارج عن نطاق قدرات البشر ، وفوق طاقة عقولهم ؛ ولذلك إذا فعل الله - سبحانه وتعالى - شيئاً .. فلا تسأل كيف ؟ لأن طاقة عقلك لا يمكن أن تدرك أسرار الفعل ؛ ولأن الله - سبحانه وتعالى - يفعل ما يشاء .. لا تحده قوانين ؛ لأنه هو خالق القوانين ، ولا يحتاج إلى أسباب ؛ لأنه - سبحانه وتعالى - هو الذي أوجد الأسباب .

فإله ليس كمثله شيء ، وكل مخلوقات الله تخضع لمشيئته جل جلاله ، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يخضع لمشيئة أحد من خلقه ؛ لأن ذاته وصفاته وأفعاله فوق كونه كله ؛ ولذلك فإن آيات الله لا تخضع لقوانين الكون . ولقد أعطانا - سبحانه وتعالى - أمثلة كثيرة على ذلك ، وأبطل قوانين الكون لرسله وأنبيائه ؛ ليعطيهم معجزات تؤكد صدق بلاغهم عن الله .

فالنار خاصيتها الإحراق ، ولكن عندما أمسك الكفار بإبراهيم - عليه السلام - ليحرقوه في النار ، لم يجعل الله سبحانه وتعالى إبراهيم يفلت منهم ، أو يخفيه عن أعينهم ، أو ينزل المطر لتنطفئ النار ، ولو فعل الله هذا

لقال الكفار : لو لم يختف إبراهيم عن أعيننا لأحرقناه ،
ولو لم ينزل المطر لأكلت النار جسد إبراهيم .

ولكن الله تعالى حكمته جعل الكفار يمسكون بإبراهيم ،
وجعل النار مشتعلة متاجدة ، وألقى الكفار إبراهيم عليه
السلام في النار ، وكانت كل العقول والأسباب تقول : إن
إبراهيم سيحترق ، ولكن خالق النار وموجدها قال :

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء] ٦٩

وهكذا ، سلب الله - سبحانه وتعالى - خاصية الإحرق
عن النار ، ولا أحد يستطيع أن يقول : كيف ؟ ولا أن
يسأل هذا السؤال ، ولن يصل أحد إلى جواب مهما
بحث ، لأن هذا فعل الله ، معجزة أرادها أن تكون فوق
مستوى العقول والتفكير البشري إلى يوم القيمة .

وعندما كان موسى - عليه السلام - وأتباعه يفرون من
فرعون وجنوده ، وفرعون يلاحقهم بجيشه ، ورأى أتباع
موسى البحر أمامهم ، وجيش فرعون وراءهم ، ماذا قال
أتباع موسى ؟

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء] ٦١

وكان هذا هو المنطق والعقل ، ولكن موسى عليه

السلام وهو نبى ، يدرك أنه مُرْسَل من رب الأسباب ؛
لذلك فإن الأسباب لا تحكمه ، وعندما قال موسى كما
يروى لنا الحق :

﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينَ (٦٢)﴾ [الشعراء]

ثقة في الله سبحانه وتعالى ، أنه لن يتخلى عن نبيه ،
وفعلاً جاء مدد السماء ، وإذا بالحق - سبحانه وتعالى -

يوحى لموسى :

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْيَ مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بَعْصَكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ
فِرْقٍ كَالْطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)﴾ [الشعراء]

وهكذا كان موسى - عليه السلام - على يقين .. أنه إذا
تخلت عنه أسباب الأرض ، فلن يتخلى عنه رب هذه
الأسباب ، ومنذ حدثت المعجزة وحتى يوم القيمة .. لن
يستطيع بشر أن يضرب البحر بالعصا فينشق .. وعيسي
عليه السلام حين أحيا الموتى بإذن الله .. وشفى
الأبرص .. كانت معجزة من خالق الأسباب ، ولن يستطيع
بشر أن يحيي ميتا .. أو يشفى مريضاً بمجرد الإشارة .

كل هذه الأفعال ليس فيها كيف ؟ لأنها لا تنسب
لأصحابها ، ولكنها تنسب إلى قدرة الله سبحانه وتعالى ؛
ولذلك تجد كلمة ﴿سبحان﴾ تأتي في القرآن الكريم في
الأشياء التي تقف فيها العقول ، مثل قول الحق سبحانه
وتعالى :

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُبْتَ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦) [يس]

هل يستطيع أحد أن يصل إلى سر الخلق ؟ مستحيل ذلك .. سواء كان الخلق مباشراً من الله ، أو بالأسباب من الذكر والأنثى ، فإن سر الحياة لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، ولذلك تجد أن الإنسان قد كشف الله له من علمه ما جعله يصنع الكثير في الكون ، يصنع الصوراريخ ، ويصل إلى القمر ، والعقول الالكترونية تشغل المصانع بأكملها ، وما يطلقون عليه الإنسان الآلي .

ولكن كل هذه الأشياء تبقى عند درجة صناعتها .. بلا حياة ، فلا هي تنمو ، ولا هي تتکاثر ، بل تقف عند ما صنعت منه ، في نفس الحجم الذي صنعت عليه ، وبنفس الهيئة ، ولن يصل أحد من البشر إلى أن يصنع من شيء ما ذكراً أو أنثى يتزاوجان ، أو ينمو ويكبر مع السنين .

فكأن الحق - سبحانه وتعالى - حين يسبق كلامه بكلمة ﴿سُبْحَانَ﴾ فإنه يخبرنا بأن العقول البشرية ستقف عند هذا ولا تستطيع أن تتجاوزه .

معنى «سبحان»

وكلمة (سبحان) لم ترد في القرآن الكريم إلا عند ذكر الأشياء العجيبة المعجزة ، لذلك حين تسمعها في كلام الله - سبحانه وتعالى - فلا بد أن تعرف أن هذا تنزيه لله ، بأن الفعل الذي تم لا يقدر على فعله إلا الله جل جلاله .

و (سبحان) اسم .. وكل اسم لله يدل على الثبوت وعلى الدوام ، فكأن الله - سبحانه وتعالى - مُنْزَه قبل أن يخلق من ينزعه ، فإذا قرأنا قول الحق في القرآن الكريم :

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَدِيهِ ..﴾ [الإسراء]
نقول : إن الله أرادنا أن نعرف أن معجزة الإسراء والمعراج من فعل الله - سبحانه وتعالى - ولم تتم بقدرة رسول الله ﷺ البشرية ؛ ولذلك بدأ السورة الكريمة بقوله : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى ..﴾ [الإسراء] أي : أن كل ما سيأتي بعد ذلك منسوب لقدرة الله سبحانه وتعالى .

وأحداث الفعل تختلف بالنسبة للفاعل وتناسب معه ، فإذا قلت : إن طفلاً ضربني بأقصى قوته .. تختلف كثيراً عمما يحدث ، إذا قلت : إن بطل الملاكمه في العالم ضربني بكل قوته ، الفعل واحد وهو : ضربني بكل قوته ، ولكن

الفاعل مختلف ، هذا طفل صغير ، وهذا بطل العالم في الملاكمة .

وإذا قلت : إن فلاناً الموظف البسيط أقام حفل عرس لابنته ، وقلت إن أغنى رجل في العالم أقام عرساً لابنته ، الفعل واحد وهو حفل العُرس ، ولكن القدرة مختلفة ، ولذلك فإن الأول تجده حفلاً بسيطاً ، والثانية تجده حفلاً هائلاً .

وإذا قلت : إنني سافرت إلى الإسكندرية بالقطار .. وقلت : إنني سافرت إليها بالطائرة .. وقلت : إنني سافرت إليها بصاروخ .. الفعل واحد .. ولكن قوة الفعل تختلف ، ولذلك فإن الرحلة بالقطار تستغرق ساعات ، وبالطائرة نصف ساعة ، وبالصاروخ دقيقة .

إذن : فالفعل يتاسب دائماً مع قدرة فاعله ، فإذا قال سبحانه وتعالى : إنه هو الذي أسرى برسوله ﷺ يكون كل ما في الرحلة مما هو فوق قدرة العقول يمكن أن يحدث .

ولذلك حين قال العرب - والرسول يروي ما حدث له في الإسراء والمعراج : أتدعى أنك أتيتها في ليلة ، ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهراً ؟ كان سؤالهم دليلاً على أنهم لم يفهموا المعجزة ، فرسول الله ﷺ لم يقلْ :

سَرِيْتُ .. وَإِنَّمَا قَالَ : أُسْرِيَ بِي .. وَمَنِ الَّذِي أُسْرَى بِهِ ؟
الله سبحانه وتعالى .

ولذلك عندما نسبوا الفعل لقدرة البشر ، نسوا قدرة الله
سبحانه وتعالى ، ونسوا أنَّ مُحَمَّداً - عليه الصلاة
والسلام - لم يقل : سريت إلى بيت المقدس ، ولكنه
قال : أُسْرِيَ بِي ، وكان يجب أن يتتبهوا إلى قدرة الفاعل
عندما يتحدثون ويقارنون المعجزة بقدراتهم البشرية .

الإِسْرَاءُ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ

الحق - سبحانه وتعالى - يقول : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى
بِعِبْدِهِ .. ۚ ﴾ [الإِسْرَاءُ] ولم يقل برسوله ، والله جل جلاله
في كونه عبيد وعباد ، كلنا عبيد الله ، الطائع فينا
وال العاصي ، والمؤمن فينا والكافر ، والعياذ بالله ، ولكن
عباد الله هم الذين أخلصوا له ، فاتحد اختيارهم مع منهج
الله - سبحانه وتعالى - ما قال لهم افعلوه فعلوه ،
وما نهاهم عنه انتهوا .

ولذلك نجد في القرآن الكريم ، عندما يريد الله أن
يتحدث عن المخلصين من خلقه .. لا يسميهم عبيداً ،
ولكن يسميهم عباداً .

واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :
﴿ وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُنَّا وَإِذَا حَاطَبُهُمْ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٢]

نقول : إن الله - جل جلاله - قد استخدم كلمة
﴿ عبده ﴾ .. ليكشفنا إلى حقائقتين هامتين : الحقيقة
الأولى .. أن الإسراء تم بالروح والجسد .. ولم يكن
مناما .. ولكنه كان رؤية حقيقة .. فكلمة عبد لا تطلق إلا
عند التقاء الروح والجسد .

ولقد دار النقاش مع أولئك الذين استمعوا إلى رسول

الله ﷺ وهو يروى لهم ما حديث في الإسراء ، على أساس أنه تم بالروح والجسد .. وإنما كانوا ناقشوا رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فيما حدث ، فلو أن الإسراء كان مناماً - كما يدعى بعض الناس - ما كان هناك مجال للنقاش ، وهل يُناقَش النائم فيما يراه ؟

إنك إن قلت : إنني ذهبت إلى أمريكا وعُدت إلى مصر .. عشرين مرة في ليلة واحدة : هل يكذب أحد في منامك ؟ طبعاً لا ، فما يحدث في المنام لا يخضع لنقاش العقل ، ولا يخضع لمنطق الأحداث ، فمثلاً الملك في عهد يوسف عليه السلام : مَاذَا رأى فِي الْمَنَامِ ؟

يقول الحق - سبحانه وتعالى - في سورة يوسف :

﴿وَقَالَ الْمَلَكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سَمَانَ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ سُبُّلَاتٍ خُضْرٌ وَآخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَعْيَائِ إِنْ كُنْتُمْ لِلرِّعَايَا تَعْبُرُونَ﴾ (٤٣) [يوسف]

هل هذا كلام يتفق مع العقل والمنطق ؟ وهل يأكل البقر بعضه بعضاً ؟ منْ مَنَّا رأى بقرة تأكل بقرة أخرى ؟ طبعاً هذا لم يحدث ، ولو أن هذا كان قابلاً للحدث .. أيأكل البقر الهزيل الضعيف البقر القوي السمين ؟ أم أن العكس هو الذي يتفق مع المنطق ، ولكن لا أحد منا رأى بقرة تأكل بقرة .

ومع ذلك عندما حکى الملك منامه لوزرائه وبطانته ،
وطلب منهم أن يُفتوه فيه ، هل ناقشه أحد منهم عقلياً ..
وقال له : كيف يأكل البقر بعضه بعضاً .. إن هذا
لا يمكن أن يحدث ، لم يناقشوه .. لأن الأحلام لا تُناقش
بالعقل والمنطق ، ولا تخضع لأسباب البشر .

ولكنهم قالوا كما يروى الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قَالُوا
أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٤) ﴾ [يوسف]
إذن : لم يَدْرُّ نقاش إطلاقاً .. حول الرؤيا التي رأها
الملك في المنام .. ولا أى نوع من أنواع المجادلة
العقلية ، ولكن في معجزة الإسراء دار نقاش .. وقالوا :
كيف يمكن أن تأتيها في ليلة ، ونحن نضرب إليها أكباد
الإبل شهراً ؟

إذن : النقاش يدل على أن رسول الله ﷺ أخبرهم أن
الإسراء تم بالروح والجسد ، وجاء قول الحق جل
جلاله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ .. (١) ﴾ [الإسراء] ليؤكد
أن الإسراء تم بالروح والجسد .

العبد .. والرسول

هذه واحدة .. أما الثانية .. فهى أن الله جل جلاله يريد أن يثبت لنا أن العبودية له هي أسمى المراتب التي يصل إليها الإنسان ، فالعبودية لله عزة ما بعدها عزة ، وعطاء ما بعده عطاء ، وإذا قرأنا في سورة الكهف نجد قول الحق جل جلاله :

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عَبَادِنَا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعْلَمَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا [الكهف]﴾ (٦٦)

ونحن نعلم أن موسى رسول الله وكليمه ، وأن الله كل موسى ، ومع ذلك فقد كان هناك عبد من عباد الله .. أعلم من موسى عليه السلام واتبعه ليأخذ منه ، أو ليتعلم عنه .

إذن : فالحق - سبحانه وتعالى - يريد أن يلفتنا إلى أن العبودية له هي أعلى الدرجات ، بدليل أنه - سبحانه وتعالى - ذكر لنا في سورة الكهف قصة موسى والخضر عليهما السلام ، ولم يكن رسولاً ، ولكنه كان عبداً ، فنال منزلة عالية عند الله - سبحانه وتعالى - وأنزل الحق جل جلاله عليه من فيوضات علمه ما لم ينزله على موسى عليه السلام .

إذن : فقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ..
﴾ [الإسراء] .. وكلمة ﴿عبده﴾ هي حيثية الإسراء ..
تقول : إن الحق سبحانه وتعالى أراد بها أن الإسراء تم
بالروح والجسد ، وأن منزلة العبودية لله سبحانه هي
منزلة عالية جداً .

ذلك أن العبودية لله شرف ، فالعبودية للبشرية نقيبة
وذلة ؛ لأن السيد يريد أن يأخذ خير عبده ، وأن يجرده
من كل حقوقه وماليه ، ولكن العبودية لله عطاء .
وقد يقال الشاعر :

حَسْبُ نَفْسِي عَزًّا بِأَنِّي عَبْدٌ
يَحْتَفِي بِي بِلَا مَوَاعِيدَ رَبُّ
هُوَ فِي قُدْسَهُ الْأَعَزُّ وَلَكِنْ
أَنَا أَقْلَى مَمْتَثَى وَأَيْنَ أَحَبُّ

والله - سبحانه وتعالى - يريد أن نعلم أن هذه المنزلة
الخصوصية لمحمد ﷺ ؛ لأنه عبد ، وهذا هو أعلى مراتب
الشرف والعطاء من الله .

إذن : فقد عرفنا يقيناً .. أن الإسراء تم بالروح
والجسد ، وكل النقاش الذي دار حول معجزة الإسراء ،
وكيف أن رسول الله ﷺ أتاهَا فِي لِيَلَةٍ .. وهم يضربون
إليها أكباد الإبل شهراً .. هذا النقاش يعني أن الإسراء كان

بالجسد ، وإنما كانوا كذبوا رسول الله ﷺ .. لو أن الإسراء كان مناماً .. أو بالروح فقط .. كما يدعى بعض ضعاف الإيمان .

والذين يحاولون أن يُشكّوا في هذه المعجزة .. نكون بذلك قد انتهينا .. من أن الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى تم بقدرة الله - سبحانه وتعالى - وقدرته ، وهذه القوة والمقدرة فوق العقول .. ونكون أيضاً قد بينا أن الإسراء تم بالروح والجسد .. مصداقاً لقوله تعالى ﴿ بِعَدِهِ .. ۚ ۚ﴾ [الإسراء] وأن العبودية لله هي أشرف المراتب ، وأعلاها وأقربها إلى الله ، وأن الله - سبحانه وتعالى - يفيض من أسرار ملكته على عباده المخلصين .

إلى هنا ويبرز سؤالان هامان : السؤال الأول : لماذا تم الإسراء ليلاً؟.. والحق - سبحانه وتعالى - يقول : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَدِهِ .. ۚ ۚ﴾ [الإسراء] .. ولماذا لم يتم الإسراء نهاراً ، ويرى الجميع بأعينهم ؟

رسول الله ﷺ وهو يركب الدابة التي أتى له بها جبريل - عليه السلام - وهي البراق ويشقّ بها عنان السماء .. ألم يكن هذا أقوى بالنسبة للمعجزة ، بحيث يراها الناس في وضح النهار ، كما رأى أتباع إبراهيم النار وهي لا تحرقه ، وكما رأى أتباع موسى البحر وهو

ينشق ؟ ألم يكن الإسراء نهاراً هو تأكيد للمعجزة فلا يكذبها أحد ، ولا يثور حولها ذلك الجدل الذي ثار من ضعاف الإيمان .

هذه واحدة .. أما الثانية .. فإذا كانت المعجزة منسوبة إلى قدرة الله - سبحانه وتعالى - وقوته ، فلمأخذت ليلة أو جزءاً من الليلة ؟ ألم يكن الله - سبحانه وتعالى - قادرًا على أن ينقل رسوله - عليه الصلاة والسلام - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في لحظة أو أقل من لحظة ؟ ثم يعيده أيضًا في لحظة ؟

وكيف تأخذ المعجزة زمناً ، وهي بقدرة الله سبحانه وتعالى الذي لا زمن عنده ، ما دام الفعل من الله جل جلاله ؟ فهل يحتاج الله إلى وقت ليتم معجزته ؟

كل هذه الأسئلة طرحتْ وقيلت من المستشرقين .. وكانوا يحسبون بذلك أنهم يهدمون المعجزة ، ولكن أسئلتهم هذه بينتْ نواحي الإعجاز في الإسراء والمعراج ، تلك النواحي التي ربما لم يكن أحد يتتبّع لها لو أن هؤلاء المستشرقين لم يشكّوا في الإسلام ، ولكن الله - سبحانه وتعالى - يسخر عبده غير المؤمن لخدمة دين الحق ، وليرى الناس دواعي العظمة في هذا الدين .

الفصل الثالث

لماذا كانت غيبة؟



قبل أن نمضي في حديث
الإسراء والمعراج .. فهناك سؤالان
هامان لا بد من الإجابة عليهما ..
السؤال الأول : لماذا تم الإسراء
ليلاً ؟ ولم يتم في وضح النهار ..
والسؤال الثاني : لماذا أخذ الإسراء زمناً ؟ والله لا زمن
عنه .

حادثة الإسراء بدأت عندما كان رسول الله - عليه
الصلوة والسلام - نائماً في الكعبة .. وقيل : في بيته ..
وقيل : في بيت أم هانىء .. وكل الروايات صحيحة ؛ لأن
رؤيا الأنبياء صادقة .. وتثبتت الأنبياء قبل المعجزات يأتى
من الله سبحانه وتعالى ، حتى لا يفاجأ الرسول
بالمعجزة .

فمثلاً موسى عليه السلام .. أراد الله - سبحانه وتعالى
أن يرسله إلى فرعون ، والله - تبارك وتعالى - يعلم أن
موسى سيواجه سحرة فرعون ؛ لذلك أراد الحق جل
جلاله قبل أن يلقى موسى عصاه .. فتحول إلى حية
تلقى حبائل السحر .. أراد الله - جل جلاله - أن يدرب
موسى عليه السلام على هذه التجربة ، حتى إذا واجه
السحرة وألقى عصاه فتحولت إلى حية لا ينزعج ولا
تأخذه المفاجأة فيخاف .

ولكن الله أراد لموسى أن يكون ثابتاً وقت المعجزة؛ ولذلك فإن الحق - سبحانه وتعالى - دربه عليها ، فلما كان موسى عائداً إلى مصر مع زوجته رأى ناراً فذهب ليأتي بجذوة من النار ، يتدفع بها هو وزوجته ؛ لأن الليل في شتاء الصحراء يكون شديد البرودة ، وحينئذ كلامه الحق - سبحانه وتعالى - فماذا قال له ؟ قال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾^(١٧) قال هى عصاى..^(١٨) [طه]

والسؤال هنا يثير الاستغراب في النفس .. والله سبحانه وتعالى حينما يسأل موسى : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾^(١٧) [طه] هل لا يعرف الحق - جل جلاله - أن ما في يمين موسى هي عصا ؟ نعم يعرف ، ولكن هذا ليس هو الهدف من السؤال ، إنما يهدف إلى أن يتتأكد موسى يقيناً أن ما في يمينه هي العصا ، حتى إذا تغيرت صورتها إلى هيئة أخرى ، لا يهزه الحدث ، بل يتتأكد من هذه معجزة من الله ، وإذا رآها تحدث أمامه مرة ، ثبت في المرة الثانية .

ولذلك قال له الحق جل جلاله : ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾^(١٩) [طه] ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾^(٢٠) [طه] لماذا ؟ لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يمر موسى

بتجربة تحول العصا إلى حية ، حتى إذا وقع هذا أمام فرعون والسحرة ، فإن موسى لا يخاف وينزعج ، ولقد خاف موسى أثناء التجربة .. دخل الخوف إلى نفسه .. وهو يرى العصا تتتحول إلى حية ، فثبتته الحق - سبحانه

وتعالى - وقال :

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَعِيْدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه] (٢١) وذلك حتى لا يخاف موسى أمام فرعون والسحرة .. ويلتقط الحية وهو واثق أنها ستتحول مرة أخرى إلى عصا .. بل إن التجربة تعدت ذلك .. إنها أخذت أكثر من شكل .

واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ وَلَئِنْ مُدْبِرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَا مُوسَى أَقْبِلَ وَلَا تَخَفْ إِنْكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص] (٣١) وهكذا نرى أن العصا خلال التجربة .. أخذت مرة شكل حية .. ومرة شكل جان .. وأن موسى خاف .. وجرى بعيداً من المفاجأة .. وكان هذا أثناء التجربة .. ولكن عندما تمت المعجزة أمام السحرة وفرعون .. كان موسى ثابتاً .. وهكذا فإن الحق - سبحانه وتعالى - في المعجزات يثبت انتباهه بتجربة تحدث قبل المعجزة .

رؤيا الرسول تتحقق

رسول الله ﷺ .. ألم يبشر بفتح مكة ؟ وأراه الله - سبحانه وتعالى - في رؤيا أخبر بها أصحابه .. واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ .. ﴾ [الفتح] (٢٧)

وهكذا كانت الرؤيا التي رأها رسول الله ﷺ .. وحدث بها أصحابه أنهم سيدخلون المسجد الحرام .. إذن : فهناك شيء اسمه رؤيا الإيناس .. وهي أن يرى النبي الشيء مناماً أو يقظة ، حتى إذا ما أصبح حقيقة كان له أنس به وإله به ، وكان رسول الله ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلك الصبح .. ما يراه مناماً لا بد أن يتتحقق ويصبح واقعاً .

فمن قال : إن الإسراء رؤيا منامية .. نقول له : إنها رؤيا الإيناس أولاً .. ورؤيا التذكير بالنعمة ثانياً .. وواقع الحادث ثالثاً .

وبذلك نخرج من كل الروايات المختلفة .. حتى الروايات التي تذكر أن رسول الله ﷺ أُسْرِيَ به من بيت أم هانئ .. والتي تقول : إنه أُسْرِيَ به من بيته .. والتي تقول : إنه أُسْرِيَ به من المسجد الحرام .. نخرج منها

بنفس الفهم .. فيقيه جاءته الرؤيا مبرة وهو عند أم هانىء .. وجاءته مرة وهو في بيته .. ومرة حقيقة واقعة وهو في المسجد الحرام .. فلا تضارب بين الروايات المختلفة .. ولا بين رؤيا التثبيت والإيناس ورؤيا الواقع .. وأم هانىء ابنة عممة رسول الله ﷺ .. وكان بيتها قريباً من الكعبة .

ولكن الحقيقة أن رسول الله ﷺ قد أُسرى به من المسجد الحرام ، هذا هو إسراء الواقع ، وأن الإسراء تم بالروح والجسد ، وإنْ كان ذلك لا يمنع أن رسول الله ﷺ قد تعرض لحدث الإسراء مناماً .. وتعرض له رواً ، وتعرض له يقظة وواقعاً .. على أن بعض الناس لا يزالون يجادلون .. في أن الإسراء لم يتم بالروح والجسد .. وهم يستخدمون في ذلك النص القرآني الشريف في قوله تعالى :

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ..﴾ [الإسراء] ٦٠
ويقولون ﴿الرؤيا﴾ لا تستخدم إلا لما يُرى في المنام ، أما ما يُرى في اليقظة ، فإننا نقول عنه «رؤيا» .. نقول : إذا كان المقصود هنا رؤيا منامية .. فكيف تكون فتنة للناس ؟ يُصدقها بعضهم ويُكذبها بعضهم ، لو كانت رؤيا

منامية .. فلا يمكن أن يناقشها أحد تصدقها أو تكذيبها كما
بينا ، ونحن لا يجب أن نأخذ بالشائع على ألسنة الناس .
ولكننا إذا عدنا للغة العربية قبل أن ينزل القرآن .. نجد
أن كلمة ﴿رؤيا﴾ وردت أيضاً للبصر .. وذكرت كذلك
في كثير من قصائد الشعر لفحول الشعراء العرب ..
والفرق الوحيد أنهم كانوا يستخدمون كلمة ﴿رؤيا﴾
في البصر .. عندما يتحدثون عن الأشياء الغريبة التي
تشبه الحلم .. فإذا استخدمنا ﴿رؤيا﴾ بمعنى المشاهدة
بالبصر .. فهذا لا يتم إلا إذا رأينا أمامنا أمراً عجيباً ..
وإلا لو كانت الرؤيا منامية ، ما كانت فتنة للناس ، فلا
أحد يناقش الأحلام كذباً أو صدقًا ، ولا تكون الرؤيا أبداً
فتنة .

و جاء جبريل ..

رسول الله ﷺ جاءه جبريل وهو نائم في الكعبة وأيقظه .. ثم أتى له ﷺ بالبراق .. وهو دابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل .. فركبها حتى أتى بيت المقدس ، فربطت الدابة في الحلقة التي يربط بها الأنبياء دوابهم .

ثم دخل رسول الله ﷺ المسجد ، فصلى فيه إماماً بالأنبياء ، وعندما خرج أتاه جبريل بإماء من خمر وإناء من لبن ، فاختار اللبن ، فقال جبريل : أصبت الفطرة .

هنا يأتي السؤال الأول .. وهو :

لماذا وقعت حادثة الإسراء والمعراج ليلاً ؟ ما دام الإسراء قد حدث بقدرة الله مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ .. ۚ﴾ [الإسراء] إذن :

فال فعل منسوب لله تبارك وتعالى .

لماذا لم تقع المعجزة نهاراً ؟ لماذا لم يأت الله - سبحانه وتعالى - بالبراق في وضح النهار .. ويستقله رسول الله ﷺ أمام الناس جميعاً .. ويصعد به إلى السماء أمامهم ، حتى لا يوجد من يكذب هذه الواقعه أو يجادل فيها ؟

معجزة غيبية .. لماذا ؟

معجزات الأنبياء .. حدثت كلها أمام أقوامهم ، فإن إبراهيم عليه السلام ألقى في النار .. وقومه يشاهدون ، وموسى عليه السلام أنسق له البحر أمام قومه .. وعيسى عليه السلام حدثت معجزاته وشاهدتها الناس جميعا .. فلماذا لم تتم معجزة الإسراء بهذه الكيفية .. واختار الله أن تتم ليلاً دون أن يشهد لها أحد .. نقول : إنك لم تفهم الحكمة من المعجزة .. فرسول الله ﷺ يأتيه الوحي بالقرآن الكريم خفية .. أى : لا يشهد أحد جبريل عليه السلام وهو ينزل بالقرآن على رسول الله ﷺ .

إذن : المسألة المطروحة هنا مسألة إيمانية .. أى : إخبار بغير .. وليس مسألة مشاهدة .. ورسول الله ﷺ له معجزات حسية كثيرة : نَبْعَ الماء من بين أصابعه الشريفة .. وظُلَّه الغمام .. ووضع يده في طعام قليل فكفى جيشاً بأكمله .. وطلب الكفار منه أن يدعوا الله سبحانه وتعالى أن يشق لهم القمر فدعا الله وانشق القمر كآية .. وغير ذلك من المعجزات الحسية .

فهل آمن الكفار عندما رأوا هذه المعجزات ؟ لم يؤمنوا

وقالوا : ساحر سحر أعين الناس ، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز :

﴿وَمَا مَنَّا عَنِ الْأَيَّاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ..﴾
[الإسراء] (٥٩)

وهكذا نرى أن الآيات الكونية لم تجعل الناس يؤمنون ، بل أخذوا يفسرونها حسب أهوائهم ، فثمود قوم صالح مثلاً طلبوا من نبيهم أن يخرج لهم من الصخرة ناقة ، فلما استجاب لهم الله لم يؤمنوا وعقروها .

وموسى عليه السلام حينما انشق له البحر بعصاه ، وعبره بنو إسرائيل ، وشاهدوا فرعون وجنوده وهم يغرقون ، كان أول شيء فعلوه .. أنهم وجدوا قوماً بعد العبور مباشرة ، يعبدون الأصنام فعبدوها !

اقرأ قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وَجَاؤَنَا بَنَى إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلَهَةٌ ..﴾
[الأعراف] (١٣٨)

وهكذا نرى أن المعجزة التي تمت لبني إسرائيل .. بأن شق الله - سبحانه وتعالى - لهم البحر ، وجعلهم يعبرون ، معجزة كبرى تمت أمام أعينهم ، ومع ذلك لم يمض إلا وقت قصير لا يزيد على ساعة أو ساعات ،

وإذا بهم ينسون الله . الذى حرق لهم المعجزة الكبرى ،
 وأنجاهم من فرعون وجندوه .. ينسون الله ويطلبون من
موسى أن يجعل لهم أصناماً يعبدونها .. إذن : المعجزات
التي خص بها الله - سبحانه وتعالى - أنبياءه لم تجعل إلا
قليلًا من الناس يؤمنون .

ولذلك عندما طلب الكفار من رسول الله ﷺ معجزات
حدوها ، لم يحققها لهم الله : لأن تاريخ البشرية ومنْ
سبقوهم كذبوا بالمعجزات الحسية رغم أنهم رأوها ، كما
أن المعجزات الحسية مقصود بها الذين رأوها ، فمنْ
لم يرها غير مطالب بها ولا هو مقصود بها .

ولكن الحق - سبحانه وتعالى - أراد أن تكون معجزة
الإسراء .. دليلاً إيمانياً يبقى إلى يوم القيمة : لأن رسالة
رسول الله ﷺ باقية إلى يوم القيمة ، فجعلها غيباً عليه
دليل مادى .. حتى تناقض بالعقل ، وتكون مدخلاً
للإيمان ؛ لأن الإيمان ليست أداته الرؤية ، فليس بعد
العين أين ، ولكنه يتم بالدليل العقلى ، على أن ما هو
غيب حدث فعلاً .

ووجود الشيء مختلف عن إدراك وجوده ، وذلك
واضح بالدليل العقلى ، فنحن مثلاً لم نر الجراثيم إلا

حديثاً ، ولكنها كانت موجودة منذ بداية الخلق ، وعدم
علمُنا بها لم يبطل مهمتها في الكون .
ومن هذا الدليل العقلى وغيره من الأدلة عن أشياء
كانت موجودة في الكون ، ثم كشفها الله لنا فعرفناها ،
مثل خصائص الغلاف الجوى ، أو الكواكب التي نكتشف
منها المزيد مع مرور الزمن أو غير ذلك ، من هذا أقمنا
الدليل العقلى على أن ما هو غيب عنا موجود وإن لم
ندركه .

المعجزة .. ودليل العقل

الحق - سبحانه وتعالى - يريد أن يعطينا - بمعجزة الإسراء - دليلاً على أن رسول الله ﷺ صادق فيما يبلغنا به من منهج يوحى إليه من السماء ؛ ولذلك كانت المعجزة غيباً وقام عليها الدليل العقلى ، فلو أن المعجزة تمت نهاراً .. ورأى الناس رسول الله ﷺ وهو يصعد إلى السماء على الراحل .. لقالوا : إنما سحرت أبصارنا .

واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قُرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: 7]

وهكذا يلفتنا الحق - سبحانه وتعالى - إلى أنه لو أنزل صحيفه من السماء ، فلمسهها الناس بأيديهم .. لقالوا : إنها سحر وليس حقيقة ، فهذا هو السلوك البشري ، والله أعلم بخلاقه .

ولذلك لم تكن المعجزة الحسية تفيده في أن يصدقوا أن رسول الله ﷺ قد أسرى به ، ولكن الذي يبقى هو أن تكون المعجزة غيباً وعليها دليل عقلى .. لتأكد صدق رسول الله ﷺ فيما يوحى إليه .

وهذا ما حدث .. المعجزة تمت غيباً ، ولكن عليها أكثر من دليل عقلى ، فلما أخبر رسول الله ﷺ قريشاً بما

حدث ، كان أول ما قالوه : نحن نضرب إليها أكباد الإبل
شهرأ .. وانت تدعى أنكأتيتها في ليلة واحدة .. أى : أن
الرحلة بين مكة وبيت المقدس كانت تستغرق منهم شهراً
كاماً .. ورسول الله ﷺ يقول إنه ذهب وعاد في ليلة
واحدة .

وكان الرد العقلى على ذلك أن الله هو الذى أسرى
برسوله ، محمد - عليه الصلاة والسلام - لم يدع أنه
هو الذى أسرى نفسه ، إذن : القدرة هنا منسوبة لله جل
جلاله .

والدليل العقلى الثانى : أنهم قالوا لرسول الله ﷺ :
صف لنا المسجد الأقصى وقال رجل منهم : أنا أعلم
الناس ببيت المقدس ، فأخبرنى كيف بناؤه وهيئته ؟ فرفع
الله - سبحانه وتعالى - المسجد الأقصى إلى رسول
الله ﷺ .. فقال : بناؤه كذا وكذا .. وأخذ يصفه وصفاً
دقيقاً أذهل الحاضرين .

وهنا لنا وقفة ، فلو كانت قريش تعلم أن رسول الله -
عليه الصلاة والسلام - قد سافر إلى بيت المقدس ،
ولو مرة واحدة ما سأله هذا السؤال ، ولكنهم كانوا
على يقين ، أنه لم يذهب إلى المسجد الأقصى فى
حياته ، ولكنهم طلبوا أن يصفه لهم كنوع من التعجيز ،

وقالت له قريش : صف لنا ماذا رأيت في الطريق ..
قال : إنني مررت بقافلة لكم في مكان كذا ، وأن جملًا قد
ضلّ منهم ، وأن القافلة يتقدمها جمل لونه أسود ، وأنها
ستصل إلى مكة في شروق يوم كذا ، فخرجوا ينتظرون
وصول القافلة ، ليعرفوا إذا كان رسول الله ﷺ قد
صدقهم القول أم لا .. انتظروا طول الليل حتى أشرقت
الشمس ، فصاح أحدهم : الشمس أشرقت .. ورد عليه
آخر : والقافلة وصلت .. وكان يتقدمها الجمل الأسود
الذى وصفه لهم رسول الله ﷺ .

الذين ارتدوا ..

كل هذه كانت أدلة مادية عقلية .. على أن المعجزة قد حدثت ، وأن رسول الله ﷺ قد أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وقد فتن بعض المسلمين ولم يُصدقوا ، وانطلقوا إلى أبي بكر - رضي الله عنه - وقالوا له : إن صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة .. فقال أبو بكر : أو قال هذا ؟ قالوا : نعم .. قال أبو بكر : ما دام قال فقد صدق .

وعندما أبدى المسلمون دهشتهم .. قال أبو بكر - رضي الله عنه : أَنْصَدَّقُهُ فِي خَبْرِ السَّمَاوَاتِ وَنُكَذِّبُهُ فِي هَذَا ؟ وكان هذا القول من أبي بكر هو توضيح لحكمة الإسراء ، ذلك أن رسول الله ﷺ الذي يأتيهم بالقرآن ، الذي ينزل به جبريل عليه والوحى غَيْبٌ عنهم ، كان يجب أن يُصدقُوهُ فِي مَعْجَزَةِ غَيْبِيَّةٍ حَدَثَتْ لَهُ ، أَقَامَ عَلَيْهَا الدَّلِيلُ الْعُقْلِيُّ وَالْمَادِيُّ ، فَيَعْرِفُونَ أَنَّهُ صَادِقٌ ، وَأَنَّ رَسُولَهُ هِيَ رِسَالَةُ الْحَقِّ .

وهذا يبين لنا .. لماذا كانت معجزة الإسراء غيّباً عن الناس ؟ ولماذا لم تحدث في وضح النهار ؟ وكان المفترض بعد هذه الأدلة المادية التي قدمها رسول

الله ﷺ ؛ لتأكد أنه أسرى به ، كان المفروض لكل إنسان له عقل أن يزداد إيماناً برسالة محمد عليه الصلاة والسلام .

ولكن الذين ارتدوا بعد إسلامهم عندما أخبرهم رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بما حديث كانوا ضعاف الإيمان ، والله - سبحانه وتعالى - لم يكن يريد في أول الدعوة .. أن يحملها ضعاف الإيمان ، بل كان جل جلاله يريد رجالاً أقوياء الإيمان يحملون دينه إلى الدنيا كلها ، لا يهتزون أمام الترف الدنيوي ، الذي سيقابلونه في أرض ستفتح لهم كفارس والروم ، ولكن يكون الإيمان في قلوبهم أكبر مما تستطيع الدنيا كلها أن تعطيه .

وحققت المعجزة هدفين

وهكذا حققت المعجزة هدفين ، أقامت الدليل العقلى والمادى على أن كل ما يخبرنا رسول الله ﷺ عنه ، هو صدق ولو كان غيباً عنا ، وخلصت الإسلام من ضعفاء الإيمان ، الذين لو كانوا قد استمروا على إسلامهم لأصابوا هذا الدين بالضرر البليغ ولم ينفعوه بشيء .

بقى بعد ذلك السؤال الثانى وهو : الله سبحانه وتعالى لا زمن عنده ، فلماذا استغرقت معجزة الإسراء زمناً ؟ ألم يكن الحق جل جلاله قادراً على أن يُسرِّيَ برسوله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في لحظة .. نقول : إنه جل جلاله كان قادراً على ذلك ، ولكن لا بد أن نفهم أن لكل خلق الله قانوناً ، وكل خلق منا يرى ما يدخل في قانونه .

فالبشر لهم قوانين تختلف عن قوانين الجن ، فالجن مثلاً لأنه مخلوق من نار يستطيع أن يتحرك أسرع ، ويستطيع أن يتشكل بأشكال مختلفة ، ولكن الله - سبحانه وتعالى - رحمة بنا قد جعل كل منْ يتشكل بقانون .. يحكمه هذا القانون .

ولذلك إذا تشكل الجن في صورة إنسان وأطلقت عليه الرصاص قُتل ؛ لأنه خاضع لقانون البشر الذي تشكل

به ، وكذلك الملائكة ، وكل خلق الله .. لهم قوانينهم
الخاصة .

رسول الله ﷺ .. كان لا بد أن يقيم الدليل المادى
والعقلى على أنه قد أسرى به ؛ ولذلك كان لا بد أن يرى
أشياء وأحداثاً تخضع لقوانين البشر ، ليأتى ويرويها
لأهل مكة ، كدليل على صدق المعجزة ، وأحداث البشر
تحتاج إلى زمن ، فكل حدث بشرى حسب قوانين خلق
الله للإنسان محتاجة إلى زمن ، فنحن بطبيعة قانوننا
البشرى لا نستطيع أن نفعل شيئاً في لا زمن ، بل لا بد
لكل حدث من زمن .

ولذلك اقتضت بشرية الأحداث التي سيراها رسول
الله ﷺ في الطريق بين مكة وبين بيت المقدس ، أن يتم
الإسراء في زمن ، وأن يستغرق وقتاً ، ولو أن الحق -
سبحانه وتعالى - لم يرد من رسوله ﷺ أن يقيم الدليل
المادى والعقلى على صدق معجزة الإسراء ، لتتمت
المعجزة في لا زمن ، ولكن لأنه جل جلاله .. أراد أن
يعطى رسوله ﷺ للناس الدليل المادى والعقلى على صدق
المعجزة ، جعل المعجزة تتم في ليلة ؛ ل تستوعب الأحداث
البشرية فيها ، وكان هذا الوقت الذي استغرقه الإسراء ،
هو من تم تدمير المعجزة وكمالها .

الفصل الرابع

من مكة

إلى

بيت المقدس



تحدثنا عن الإسراء ، وكيف أنه
تم بالروح والجسد ، وأن الله -
سبحانه وتعالى قال : ﴿أَسْرَىٰ بِعِبْدِهِ
..﴾ [الإسراء] ، لأن الأنبياء
جاءوا ليعلموا البشر العبودية لله ،
التي هي أسمى مراتب الإيمان ، ثم تحدثنا عن المعجزة ،
وكيف أن إسراء رسول الله ﷺ استغرق زمناً .. وكيف أنه
تم ليلاً ، وما هي الحكمة في ذلك ؟

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعِبْدِهِ لَيَلَّا
مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ ..﴾ [الإسراء]
حدَّ الحق - جل جلاله - من أين بدأ الإسراء ، وإلى
أين انتهى ، والمسجد الحرام هو مكان الكعبة المشرفة ،
وهو أول مسجد وضع للناس في الأرض منذ بداية
الخلق ، اختار الحق - سبحانه وتعالى - مكاناً في الأرض
هو مسجده .. مصداقاً لقوله جل جلاله :
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِيَكْثَرَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]

فكأن البيت الحرام كان موجوداً في الأرض .. من قبل
أن تطأها قدم بشر ، والناس يعتقدون أن البيت الحرام

هو الكعبة المشرفة . نقول : إن هناك فرقاً بين مكان البيت والعلامة الدالة على المكان .. أو كما يقولون المكين ، فمكان البيت هو هذه البقعة المباركة في مكة المكرمة ، وليس المكان هو بقعة سطح الأرض فقط ، بل إن كل ما فوق البيت إلى السموات هو تابع للبيت .

ولذلك نجد أن بعض الناس الذين يذهبون للحج .. يصلون في الطابق الثاني مثلاً ، وهو أعلى من مستوى ارتفاع بناء الكعبة المشرفة ؛ نقول : إن صلاتهم صحيحة ، لأن البيت يمتد إلى السماوات ؛ ولذلك فإن ما على البيت هو من البيت ، وفي نفس الوقت فإن ما هو تحت البيت ممتد إلى باطن الأرض ، هو من البيت أيضاً .

ذلك أن جو المسجد هو من المسجد ، والملائكة والرحمات تتنزل على المصليين ؛ ولذلك عندما نجد في بعض المساجد مكاناً مخصصاً للسيدات في الدور الثاني ، مع أن الإمام يقف في الدور الأول . أى : أن المصليات يعلون الإمام . نقول : إن صلاتهم صحيحة .

ولقد تحدثت عن المساجد الموجودة في أسفل العمارت .. وقلت : إنها لا تعتبر مساجد إلا في حالات الضرورة .

ذلك أن جو المسجد في هذه الحالة توجد فيه الحائض ، ويوجد فيه الذين لم يتطهروا ، وهؤلاء يمنعون نزول الملائكة والرحمات ؛ لأنها محتاجة إلى جو طاهر ؛ ولذلك تعتبر المساجد أسفل العمارات أماكن لصلاة الجماعة ، ولا تعتبر مساجداً إلا في حالات الضرورة .

معنى المسجد الحرام

المسجد الحرام - أو البيت الحرام - هو المسجد الوحيد الذي يوجد في الأرض باختيار الله سبحانه وتعالى لمكانه ، أما المساجد الأخرى الموجودة في الأرض ، فهي مساجد باختيار خلق الله لأماكنها ؛ ولذلك جعل المسجد الحرام الذي شرفه الله باختياره قبلة لكل مساجد الأرض ، التي قامت باختيار خلق الله لأماكنها .

والمسجد يُطلق على مكان السجود ، وكل مكان تسجد فيه هو مسجد لك ؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ : « وجعلت لى الأرض مسجداً وظهوراً » أى : أنه تصح الصلاة للMuslim في أي بقعة في الأرض .

المسجد الحرام وُجد قبل أن ينزل آدم إلى الأرض .. وقيل : إنه في عهد نوح .. حين أهلك الله - سبحانه وتعالى - أهل الأرض الكفار بالطوفان ، طمست المياه العلامة التي يتعرف بها الناس على مكان البيت ، ولكن البيت نفسه باق كبقة مباركة من الأرض .

وعندما جاء إبراهيم - عليه السلام - أمره الله - سبحانه وتعالى - أن يقيم القواعد من البيت .. أى : يقيم العلامات التي يتعرف بها الناس على مكان البيت .

ولكن هل كان إبراهيم يعرف المكان ؟ رغم أن الطوفان

قد أزال العلامات الدالة على المكان لم يكن إبراهيم - عليه السلام - يعرف المكان ، ولذلك بيّنه الله له .. وأرشده إلى مكانه .

وفي ذلك يقول الحق - سبحانه وتعالى :
﴿وَإِذْ بَوَأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَا تُشْرِكْ بِي
شَيْئاً..﴾ (٢٦) [الحج]

وهكذا دلّ الله - سبحانه وتعالى - إبراهيم على مكان البيت ، وأمره بأن يأخذ زوجته هاجر وابنهما إسماعيل ، ويتركهما في مكان البيت ليقيما هناك ، وفجر لهما بئر زمزم لتجود الحياة حول البيت ، فلا تضيع معالمه بعد ذلك ، وأمر الله إبراهيم وابنه إسماعيل ، أن يقيما القواعد من البيت ، كعلامة ليعرف الناس مكان بيت الله الحرام ، فأقاما بناء الكعبة المشرفة وحفظها الله - تبارك وتعالى - إلى يومنا هذا ، لتبقى دليلاً لكل خلقه على بيت الله الحرام .

السجود والإنسان

على أننا نلاحظ أن الحق جل جلاله قال :
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعِبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَاٰ ..﴾ [الإسراءٌ ١٧]

والمسجد هو مكان السجود كما بينا ، والصلاه التي نعرفها لم تفرض إلا بعد الإسراء والمعراج ، فكيف يأتي القرآن الكريم بوصف المسجد ، وهو مكان السجود بالنسبة للمسجد الحرام ، وبالنسبة للمسجد الأقصى ؟ مع أن الصلاة كما نعرفها لم تكن تقام في المسجد الأقصى ، الذي أخذ هذا الاسم من أنه كان أقصى مكان وصل إليه العرب في رحلاتهم وتجارتهم قبل الإسلام .

نقول : الإنسان سجد لله - سبحانه وتعالى - منذ نزل على الأرض ، وأن السجود لله في الأمم السابقة ، وإن كان يختلف عن الطريقة التي نسجد بها نحن ، فإنه كان موجوداً .

وإذا قرأت قول الحق - سبحانه وتعالى - لـ إبراهيم عليه السلام : ﴿وَطَهَرَ بَيْتِي لِلطَّائِفَيْنَ وَالْقَائِمَيْنَ وَالرَّكْعَ السُّجُودِ﴾ [الحج٢٦]

نعرف أنه كان هناك سجود لله - سبحانه وتعالى - في عصر إبراهيم ، وقبل عصر إبراهيم ، ومنذ نزل منهج السماء إلى الأرض شرع السجود ، ونجد أنه كان في

اليهودية سجود ، مصداقاً لقوله - تبارك وتعالى - لبني إسرائيل :

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الْطُّورَ بِمِيَاثِقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجْدًا .. ﴾ (١٥٤) [النساء]

وهكذا نرى أن السجود كان مفروضاً في اليهودية ، وكذلك كان في النصرانية ، مصداقاً لقول الحق جل جلاله : ﴿ يَا مَرِيمُ اقْتُنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدْي وَارْكُعْي مَعَ الرَّأْكِعِينَ ﴾ (٤٢) [آل عمران]

إذن : السجود لله - سبحانه وتعالى - شُرع بالنسبة للإنسان منذ خلقه الله سبحانه وتعالى .

على أننا إذا تحدثنا عن كلمة مسجد ، فلا بد أن نفرق بين الأماكن التي تُخصص للعبادة فقط ، والأماكن التي تصلح فيها العبادة مع حركة الحياة .

لقد اتفق على أن يسمى كل مكان يُخصص للعبادة مسجداً .. وإن كانت الأرض كلها مسجداً طهوراً لأمة رسول الله ﷺ .. إلا أن هناك فرقاً .. بين أرض تُخصص للعبادة فقط ، وأرض تصلح لحركة الحياة .

المصنوع فيه حركة الحياة ، وعندما يحين وقت الصلاة يباح لك أن تصلي فيه ، والأرض المزروعة فيها حركة الحياة وتصلح للصلاحة ، ولكن إذا جئنا وميَّزنا وحدتنا

بأن هذا المكان مسجد .. يصبح مقصوراً على الصلاة والعبادة فقط .. وأى شئ غير العبادة لا يجب أن يتم فيه .

ولذلك قال رسول الله ﷺ للرجل الذى جاء يبحث عن جمله الضال فى المسجد « لا رد الله عليك ضالتك » .. وقال للذى حضر إلى المسجد ليعقد صفقة تجارية « لا بارك الله لك فى صفحتك ». لماذا ؟

لأن المسجد مخصص لعبادة الله ، فإذا كان تشغلك نفسك بأمور الدنيا فيه ، إن معنى أن الأرض كلها مسجد ، أنها تصح فيها الصلاة وتصح فيها حركة الحياة ، ولكن المكان الذى خُصّص ليكون مساجداً ، لا تصح فيه حركة الحياة .

ولذلك ؛ فالمساجد تحت العمارات لا يتوافر فيها هذا الشرط ، لأنه يوجد فى جو المسجد - وجو المسجد كما بينا مسجد - نقول : يوجد فى جو المسجد حركة حياة ، ويوجد فيه الجنب والهائض والرجل الذى يأتي أهله . إذن : لم تَعْد سماوئه مساجداً .

و قبل أن يتعلم المسلمون الطيران .. كان يحرم على الطيار الأمريكى غير المسلم .. أن يطير فى جو مكة ؛ لأن جو الحرم هو من الحرم ، ولا يجوز لغير المسلم أن يدخل الحرم .

ما هي البركة؟

رحلة الإسراء كانت من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .. وقصى يعني بعيد .. وأقصى يعني أبعد .. وكما قلنا : إن المسجد الأقصى .. كان أبعد مكان تصل إليه القوافل قبل الإسلام .
وإذا أكملنا الآية الكريمة نجد أن الحق سبحانه وتعالى يقول :

﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ..﴾ [الإسراء]
ما هي البركة ؟ البركة هي أن يعطى الشيء أكثر مما هو متوقع له ، فمثلاً إذا أتينا ب الطعام يكفي ثلاثة أشخاص ، واجتمع حول المائدة عشرة أشخاص ، وأكلوا وشعروا . نقول : إن هذا الطعام فيه بركة ؛ لأنه كان متوقعاً أن يكفي ثلاثة أشخاص ، ولكنه كفى عشرة ، وكذلك كل شيء يعطى أكثر مما هو متوقع له .

المال القليل إذا كفاك فتره طويلة يكون فيه بركة ، والثوب إذا ظل ممعك سنوات وسنوات ، دون أن يبلى يكون فيه بركة ، والبركة مادية دنيوية ، أو روحية دينية ، البركة التي ينتفع بها المؤمن والكافر دنيوية فقط ، أما البركة الدينية فلا ينتفع بها إلا المؤمن .

وفي ذلك يلفتنا الحق - تبارك وتعالى - في قوله :
﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيَّابَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ

هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ
الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٢) [الأعراف]

هذه الآية الكريمة تلفتنا .. إلى أن نعم الله - سبحانه وتعالى - في الدنيا هي للمؤمن والكافر ، أما في الآخرة فهي للمؤمنين وحدهم .

المؤمن والكافر في الحياة الدنيا .. يشرب الماء العذب البارد ليطفئه ظماء ، أما في الآخرة فإن الكافر إذا طلب الماء .. جاءوا له بماء يغلى ، ومن شدة غليانه فإن مجرد اقتراب كوب الماء من وجهه يشوى وجهه ، فإذا شربه فإن الماء يغلى في بطنه .

والدنيا فيها طعام مختلف ألوانه للمؤمن والكافر ، كلُّ يختار حسب ما يشتته ، وحسب الرزق الميسَّر له .. فإذا جاءت الآخرة كان للكافر طعام من ضرير ملىء بالشوك لا يسدُّ جوعه ، ولكنه يُقطع أمعاءه .

والمؤمن والكافر في الدنيا يتمتعان بالثياب ، كلُّ حسب قدراته ، هذا يلبس حريراً ، وهذا يلبس صوفاً ، وهذا يلبس قطناً ، فإذا جاءت الآخرة وطلب الكافر الثياب فثيابه من نار تشوى جسده .

وكل منا في الدنيا يذهب إلى فراشه ليلاً .. ليستريح وينام على فراش من قطن ، أو من ريش أو غير ذلك ، كل حسب مقدرته ، فإذا جاءت الآخرة كان للكافر فراش

من نار .. من فوقه ومن تحته .. لا تجعله ينام أبداً .
وهذا معنى الآية الكريمة التي تُبَيِّن لنا أن النعم في الدنيا
للمؤمنين والكافر ، أما في الآخرة فهى للمؤمن وحده .
إذن : البركة الدنيوية ينتفع بها المؤمن والكافر ؛ لأنها
عطاء ربوبية من الله رب العالمين ، الذى خلق البشر
كلهم ، واستدعاهم لكونه ، وكفل لهم أرزاقهم ؛ ولذلك
 فهو يعطيهم من كل الخير ، أياً كانت صوره ، دون تفرقة
بين مؤمن وكافر .

وهناك بركة دينية .. يختصُ بها الله عباده المؤمنين فقط .
المسجد الأقصى جعل الله - سبحانه وتعالى - حوله
بركة دينية ، وبركة دينية ؛ لأنه شهد رسول الله كلهم ..
إبراهيم .. واسحق .. ويعقوب .. وزكريا .. ويحيى ..
وموسى وعيسى ، وهو مهبط الوحي على كل هؤلاء ،
ومن هنا كانت فيه بركة دينية .

ومعنى قول الحق .. «أَلَّا يَأْرُكُنَا حَوْلَهُ .. ١٠»
[الإسراء] أي : أوجدنَا حوله بركتين : بركة مادية فيما
تُعطى الأرض ، وفيما يأتي إليه من ثمرات ، وبركة دينية
خاصة بالقيم ، التى أنزلت من السماء .. ومن اتبعها أخذ
بركة الآخرة .. وكانت له نعمٌ فى الآخرة لا تُعدُّ
ولا تُحصى ، فكأن الكافر يأخذ بركة الدنيا ، والمؤمن
يأخذ بركتى الدنيا والآخرة .

ورأى الرسول آيات

وإذاقرأنا قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿لَنُرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء]

نجد أن الحق - سبحانه وتعالى - قد حدد مهمة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس .. وهي أن يرى رسول الله ﷺ من آيات ربه ، وكلمة الآيات لا تقال على كل شيء موجود ، وإنما تقال على الموجود العجيب .. فيقال : هذا آية في الجمال .. أو آية في الذكاء .. أى : جماله مبدع .. أو ذكاوه مُفْرط .. والآيات أطلقت على عدة إطلاقات .. فهناك آيات الكون التي يراها المؤمن والكافر ،

مثل قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ .. ﴾ [فصلت]

وتطلق الآية أيضاً على المعجزات التي يخرق الله - سبحانه وتعالى - بها قوانين الكون لأنبيائه ، لإثبات صدق بلاغهم عن الله ، وتطلق على آيات القرآن الكريم . الآيات التي رأها رسول الله ﷺ قسمان : آيات أرضية ، وهي تلك التي شاهدها خلال معجزة الإسراء ، وهي ما تحدثنا عنه .. ورؤيه رسول الله ﷺ لهذه الأشياء وهو يقطع هذه الرحلة فوق البراق بين السماء والأرض هي من آيات الله .. أن يريه كل هذا بهذه الدقة وهو بعيد عن الأرض .

ولكن هناك آيات أخرى من آيات الله سبحانه وتعالى .. عجائب لم يرها أحد .. إلا رسول الله ﷺ الذي تجاوز - عليه الصلاة والسلام - في رؤيته لآيات الله منزلة أقرب الملائكة إلى الله ، وهو جبريل عليه السلام ، وهذا ما سنتحدث عنه في الفصول القادمة .

إذن : فهدف الإسراء والمعراج .. هو أن يُرى الله جل جلاله رسوله ﷺ من الآيات ما يُذهب عنه الضيق والحزن ، الذي أصابه - عليه الصلاة والسلام - من جحود أهل الأرض وإيذائهم وعنادهم ، ويؤكد له أن السماء بملكتها الواسع وأياتها العجيبة - تحتفى به .

وقول الحق - سبحانه وتعالى :

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾
[الإسراء]

والسميع هو من يدرك الكلام ، والبصير هو من يدرك الأفعال والمرائى .. والله - جل جلاله - سميع لأقوال رسوله ﷺ .. بصير بأفعاله .. سميع لأقوال خصوم رسول الله ﷺ .. بصير بأفعالهم .

الله - عز وجل - يسمع ويرى .. القوم يكذبون محمداً عليه الصلاة والسلام ويؤذونه بفاحش القول والكلام ، وبصير بما فعلوه ، حين قذفوه بالحجارة وأدموا قدميه الشريفتين .. وسميع وبصير برسوله الكريم .. وهو

يناجيه : (إلَى مَنْ تَكُلُّنِي) .. وهو يقول : (إِنْ لَمْ يَكُنْ
بِكَ غَضْبٌ عَلَىٰ فَلَا أَبَالِي) .

ولذلك كانت استجابة السماء ليعرف الرسول الكريم ..
أن كل ما يلقاه من كفر أهل الأرض وعنادهم ليس غضباً
عليه من الحق - سبحانه وتعالى - ولكن لأن محمداً -
عليه الصلاة والسلام - من أولى العزم من الرسل ، وأراد
الله - سبحانه وتعالى - أن يؤكد لرسوله ﷺ بالغ رضاه
عنه ، فأراه من آيات السماء ما عرف منه مدى رضاء الله
عنه - عليه الصلاة والسلام - ومدى حبه له .

صلوة الرسول بالأنبياء

وكانت الآية الأولى .. أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - صلى إماماً بالأنبياء جمِيعاً في بيت المقدس ، وكانت هناك أكثر من وقفة للمُشكّكين في هذا الدين ، كيف يصلى رسول الله - صلوات الله عليه وسلامه - بالأنبياء وهم موتى وهو حيٌّ ؟ نقول : إن الذين يثيرون هذا الكلام .. نسوا بداية الكريمة في قوله تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعِبَدِهِ .. ﴾ [الإسراء: ١]

وأرادوا أن ينسبوا الأحداث لا إلى قدرة الله سبحانه وتعالى ، ولكن إلى بشريّة رسول الله ﷺ ، والقرآن الكريم لم يقل هذا ، ولم ينسب الفعل إلى بشريّة رسول الله ، وإنما نسب المعجزة كلها إلى قدرة الله جل جلاله .

ورسول الله ﷺ لم يقل : سرية .. ولم ينسب الأفعال إلى نفسه ، وإنما نسبها إلى قدرة الحق جل جلاله ..

وقال « أسرى بي » وإذا كنا نريد أن نناقش المسألة عقلاً ومنطقاً .. ألم يُعطِ الله - سبحانه وتعالى - إلى عبد من عباده ورسول من رسله .. هو عيسى عليه السلام .. ألم يُعطيه القدرة على إحياء الموتى ، وعلى أن يخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفح فيه فيكون طيراً تدبّ فيه الحياة بإذن الله .. مصداقاً لقوله تبارك وتعالى :

﴿ أَنَّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّينِ كَهِيَّةَ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا ﴾

بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرَئُ الْأَكْمَهُ وَالْأَبْرَصَ وَأَحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ..
﴿٤٩﴾ [آل عمران]

ألم يُرِّ اللَّهُ - جل جلاله - عباداً من عباده .. وهو إبراهيم عليه السلام كيف يحيي الموتى .. مصداقاً لقوله

عز وجل :

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَيْ كُلَّ جَبَلٍ مِّنْهُنَ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَ يَأْتِينَكَ سَعِيًّا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة] ﴿٢٦٠﴾

فإذا كان اللَّهُ - تبارك وتعالى - قد أعطى بإذنه لعبدين من عباده هذه القدرة ، فما بالك إذا كان الفعل مباشراً من الحق - جل جلاله - ولم يكن بواسطة عبد من عباده ، ألا تكون القدرة أكبر ؟ والإعجاز أعلى ؟

وكما قلنا : إنَّ الذِّي يَحْكُمُ مَا يَرَاهُ أَيْ خَلْقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَالْقَانُونَ الذِّي يَخْضُعُ لَهُ هَذَا الْخَلْقُ ، وَسَوَاءٌ غَيْرُ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَانُونُ بَشَرِيَّةِ رَسُولِهِ ﷺ .. لِيَصْلِي بِالْأَنْبِيَاءِ .. أَوْ يَكُونُ غَيْرُ قَانُونِ بَرْزَخِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ لِيَصْلِي بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . فَإِنَّ اللَّهَ - جل جلاله - قَادِرٌ عَلَى الْفَعْلِينَ .

ولذلك ، فإنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى إِماماً بِالْأَنْبِيَاءِ ، وَتَمَّتْ هَذِهِ الصَّلَاةُ بِالْكِيفِيَّةِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ

وتعالى - وبالصورة التي قدرها جل جلاله .
وإذا قال قائل : كيف صلى رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بالأنبياء .. ولم تكن الصلاة المكتوبة في الإسلام قد فرضت .. نقول : إن الله - تبارك وتعالى - قادر على أن يوحى لأنبيائه بالصورة التي تتم عليها الصلاة ، كما يريد لها سبحانه وكما يتقبلاها تبارك وتعالى .
إلى هنا .. وينتهي الإسراء .. ليبدأ المراج ..
والآحاديث التي وردت في إثبات معجزة الإسراء كثيرة .. بلغت العشرين حديثاً أو أكثر .. والكلام الذي قيل عنها كثير .. بعضهم قال : إنها بالروح .. وبعضهم قال : بالروح والجسد .. وبعضهم قال : رؤيا منام .. وبعضهم قال : واقع يقظة .

ولقد بَيَّنَا بالأدلة .. كيف أن الإسراء يقظة بالروح والجسد .. ثم بدأ المراج .. وعرج رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السموات ، حتى بلغ سدرة المنتهى ، وفرضت الصلاة التي تمت بالأمر المباشر من الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام ، وليس بواسطة الوحي .

ماذا رأى رسول الله في السموات ؟ وكيف عرج إليها ؟ وكيف كان فرض الصلاة ؟ وما هي الآية الكبرى التي رأها الرسول الكريم في المراج ؟

الفصل الخامس

آيات السماء



قبل أن نبدأ في الحديث عن
المراج .. وصعود رسول الله ﷺ
إلى السماء السابعة وإلى سدرة
المنتهى .. وما رأه - عليه الصلاة
والسلام - في ملكوت السموات ،

لا بد من وقفة تقرّب هذا كله إلى العقل ، ذلك أن المراج
هو فوق طاقة وقدرات العقل البشري ، ومن رحمة الله -
سبحانه وتعالى - أنه أعطانا أشياء حسية تقرّب الغيب إلى
عقولنا ، وترد على كل كافر منكر .

كل خلق من خلق الله سبحانه وتعالى ، له قانون
يتحكم فيه ، والقانون يتغير بتغيير الخلق ، أو بتغيير حالة
المخلوق ، فهناك من له أكثر من قانون ، كل قانون
ينطبق عليه في مرحلة من مراحل حياته .

فالبشر مثلاً لهم قانون يحكمهم ، مناسب لطبيعتهم
البشرية ، والجان لهم قانون يحكمهم ، مناسب لأنهم
خلقوا من نار ، فماتتهم التي خلقوا منها - وهي النار -
شفافة أكثر من الطين .

ولذلك فإن لهم قانوناً يختلف عن قانون البشر ، إنهم
أكثر سرعة في الحركة ، وأكثر قدرة على اختراق الجدران
والأبنية ، والانتقال من مكان إلى آخر ، ولهم قدرة على

التشكّل ، ويرؤون ما لا نرى . إذن : هم أكثر قدرة مناً طبقاً لقوانين خلقهم .

والملائكة خلقو من نور ، ولهم قوانين أقوى من قوانين الجن ، وقدرة على الصعود إلى السماء والنزول منها ، وهم يرون ما لا نرى ولا ترى الجن .

إذن : لكل مخلوق من مخلوقات الله - سبحانه وتعالى - قوانينه ، التي تختلف عن قوانين غيره من المخلوقات ، والتي تحكمه فلا يخرج من إطارها إلا بإذن الله .

وإذا أردنا أن نعرف ذلك ، فلنرجع إلى قصة سليمان حين أراد إحضار عرش بلقيس ملكة سبا ، قبل أن تصل الملكة إلى مجلسه ، وكانت بلقيس ملكة سبا ، قد غادرت مملكتها في طريقها إلى سليمان .

يروى لنا القرآن الكريم هذه القصة فيقول :

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٢٨﴾
[النمل]

من هم الملائكة الذين كان يخاطبهم سليمان ، ويطلب منهم أن يأتوه بعرش ملكة سبا ؟ الله - سبحانه وتعالى -

يدرك لنا بعضًا منهم .. في قوله عز وجل :

﴿وَحَسِيرٌ لِسُلَيْمَانَ جِنُودٌ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ﴿١٧﴾
[النمل]

إذن : عرفنا من هذه الآية الكريمة .. أن جنود سليمان
من الجن والإنس وغيرهم .

هل عندما تكلم سليمان ، وطلب إحضار عرش ملكة
سباء ، قام إنسان وقال : أنا سأحضره ، هل قام إنسان
يمتاز بقوة شديدة وخففة في الحركة وقال : سأحضره
لنك .. لا .. سكت الإنس جمِيعاً ، حتى أقوى إنسان
موجود في مجلس سليمان .. لم يجرؤ على أن يفتح
فمه ، لأنَّه يعرف أنه عاجز عن أنْ يأتي بعرش بلقيس ؛
لأنَّ قوانين مادته تحكمه ، فهو غير كُفءٍ لهذه العملية .

الأدنى والأعلى

لقد سكت الإنس جمِيعاً؛ لأنَّ هذا الطلب فوق قدرة قوانينه، هل تكلم الجن على إطلاقهم؟ .. لا .. سكت الجن الضعيف، والذى تكلم هو عفريت من الجن - أى من أقوى الجن وأقدرهم - ماذا قال العفريت؟

يقول الحق سبحانه وتعالى :

«**قَالَ عَفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوْيٌ أَمِينٌ**» (٣٩) [النمل]

وكيف تصدى عفريت الجن لذلك؟ لأنَّ قوانينه تتبيح له أن يسبق البشر، فهو يستطيع أن يذهب إلى قصر ملكة سبا، ويُحضر العرش قبل أن تصل الملكة إلى مكان سليمان، وهو بحكم قوانينه أقوى وأقدر، وحدد المدة بأنها قبل أن يقوم سليمان من مجلسه.

وكم يستغرق مجلس سليمان؟ ساعة أو ساعتين أو نصف يوم أو أكثر أو أقل، المهم أن عفريت الجن في هذه المدة المحددة سيأتي بعرش ملكة سبا إلى مجلس سليمان.

وهنا بربَّ تحدٍ آخر من الذى عنده علم من الكتاب .. إنسان أعطاه الله سبحانه وتعالى - وهو الأدنى في قوانينه - خصوصية تجعله أقدر من الأعلى قانوناً .. وذلك حتى

نعرف أن القوانين لا تحكم إرادة الحق - سبحانه وتعالى - ولكن إرادة الحق جل جلاله - وهو خالق هذه القوانين - تستطيع أن تبدل قانون الأدنى بحكم خلقه؛ لتجعله يتفوق على الأعلى بحكم الخلق أيضاً.

ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ..﴾ [النمل] (٤٠)

وهكذا أعطى الله - سبحانه وتعالى - من الخصوصية لإنسان ما جعله يتفوق على من هم أعلى منه في قوانين الخلق ، ويفعل ما لا يستطيعون أن يفعلوه ، وذلك بعلم علمه الله له الكتاب .

وتغيير القوانين

وهكذا نرى أن الله - سبحانه وتعالى - قادر على أن يغير من قوانين خلقه ما يشاء ، ولكن ليس هذا كل ما يحدث ، بل إن الله - سبحانه وتعالى - جعل قوانين مختلفة لنفس الخلق في أطوار حياتهم المختلفة ، فالإنسان الذي يموت مثلاً وينتقل إلى حياة البرزخ ، يرى ما لا يراه الإنسان ، الذي ما زال في مرحلة الحياة الدنيا .

فإذا قرأت القرآن الكريم تجد الحق - سبحانه وتعالى - يخبرنا بذلك ، فيقول سبحانه :
﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٢٢) [ق]

ألا يرى الإنسان الملائكة وهو يحضر .. سواء كانوا ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ، مصداقاً لقوله جل جلاله :

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٥) [الأنفال]

و « لو » حرف امتناع . أي : أننا لا نرى ، ولكن الذي يحضر يرى ، كما يرى ملك الموت ، الذي جاء ليقبض روحه .. إذن : فهناك قوانين ، لكل مرحلة من المراحل

التي يمر بها الإنسان في رحلة حياته .
ولكننا سنضرب مثلاً أسهل من هذا كثيراً .. سنضرب
مثلاً يحدث لكل واحد منا ، ويحدث له كل يوم ، وينتقل
من قانون إلى قانون في لحظة .. الإنسان وهو مستيقظ
خاضع لقوانين اليقظة ، فإذا نام انتقل إلى قوانين أخرى
لا علاقة لها بقوانين اليقظة ، فهو يرى وعياته
غمضتان ، ويمشي ويجري وقدماه لا تتحركان من فوق
السرير ، ويتكلم ولسانه ساكن ، وهو يرى أشياء عجيبة ،
لم يرها في حياته الدنيا ، ولا تخضع لقوانين العقل .
فقد يرى أنه يطير في الجو بجسمه ، وأنه يسقط من
فوق جبل عال ولا يحدث له شيء ، بل وأكثر من ذلك ،
فإنه يرى الذين انتقلوا إلى رحمة الله منذ سنوات ،
ويستمع إليهم ويُكلّمهم ويُكلّمونه ، وتحدث له أشياء
يرفضها العقل والمنطق ، ولكنه يراها في منامه تحدث .
ما هي القوانين التي يخضع لها الإنسان عند النوم ؟
لا أحد يعرفها ، ولا يستطيع أن يحددها ، ولكنها مختلفة
 تماماً عن قوانين اليقظة .

وهكذا ينتقل الإنسان من قانون إلى قانون مختلف
 تماماً ، بمجرد أن يضع جسده على السرير ويغمض
 عينيه لينام ، وإذا استيقظ انتقل إلى قانون اليقظة ، في

قدرته المحدودة ، واستخدام حواسه البشرية لمعرفة ما يدور حوله ، فإذا نام مرة أخرى انتقل إلى قانون النوم ، بكل ما يعطيه من قواعد تختلف تماماً عن حالة الاستيقاظ .

وهكذا - كما ترى - فإن الإنسان نفسه ينتقل من قانون إلى قانون في لحظة ، وبمنتهاء السهولة دون أن يدرى أو يحس أن هناك شيئاً غير عادى قد حدث له ، فإذا كان هذا هو الحال مع البشر العاديين ، فماذا يحدث مع رسول الله ﷺ خير خلق الله ، في معجزة تتم بقدرات الله جل جلاله ؟

بلا شك أنه ينتقل من قانون إلى قانون إلى قانون ، حتى يصعد إلى السماء السابعة ، ولا يجب أن يندهش أحد لذلك ، أو يشك فيه ؛ لأننا نحن البشر العاديين ، ننتقل من قانون إلى قانون إلى قانون ، ونشهد ذلك ونعرفه .

فوق قدرة العقول

وإذا أردنا أن نتحدث عما رأه رسول الله ﷺ في معجزة المراج، فإنه كثير وكثير جداً، ولكننا يجب أن نفهم أنه إذا كانت معجزة الإسراء .. هي معجزة تحدّ للبشر، فإن الإسراء لم يأت هكذا؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - جعل رسوله ﷺ يرى ما لا تتسع عقول البشر لإدراكه، بل إن رسول الله ﷺ خلال المراج رأى الجنة، ورأى النار بما فيهما.

ولكن، هل تتسع عقول البشر لإدراك ما في الجنة؟ إن في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وبما أن المعنى يوجد أولاً .. ثم يأتي اللفظ بعد ذلك، فلا توجد ألفاظ بشرية تستطيع أن تصف ما في الجنة؛ ولذلك لم يكن رسول الله ﷺ يستطيع أن يجد الألفاظ التي يمكن أن تعبر عما رأه في الجنة، والتي يمكن أن تُعبّر عن كثير مما شهده الرسول ﷺ.

ولذلك، فإن المراج كان ثبيتاً للرسول - عليه الصلاة والسلام - وليعرف البشر أن الله - سبحانه وتعالى - قد أعطى لرسوله ﷺ أشياءً فوق مقدور عقولهم، وفوق مقدور تصور البشرية كلها، وهذا يعطينا مؤشرين.

أولاً : منزلة رسول الله ﷺ عند ربه ، تلك المنزلة التي فاقت البشرية كلها ، وتعتها إلى تفضيل لم يُعطِه الحق - سبحانه وتعالى - لأحد من خلقه .

وثانياً : إن كل شيء سيحدث في الدنيا وفي الآخرة موجود عند الله - سبحانه وتعالى - وهو جل جلاله بيديه لنا عندما يشاء ، ولكن لا شيء يخرج عن علمه ، وكل شيء موجود في علمه ؛ ولذلك فله - سبحانه وتعالى - أمور بيديها ولا بيتدئها . أى : أنها موجودة في علمه جل جلاله ، ولكنه بيديها لنا فنعرفها .

ولعلنا إذا التفتنا لآيات القرآن الكريم ، نجد قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] ..
وعلينا أن نتبه إلى قول الحق جل جلاله ﴿لَهُ﴾ ..
أى : أن هذا الشيء موجود .. على أننا هنا لابد أن نلتفت ، إلى أنه وإن ذكر الزمن في الإسراء ، فإنه لم يذكر في المعراج ، لماذا ؟

لأن وجود الزمن في الإسراء كان له مبرر ، وهو الآيات البشرية التي رأها رسولنا ﷺ ، والتي كانت دليلاً عقلياً على حدوث المعجزة ، وما دام الحق - سبحانه وتعالى - قد أعطى الدليل العقلى ، في أنه خرق قوانين

الكون لرسوله في أمر حسي ، تدركه العقول ، وإن غاب عن الحواس ، فالله جل جلاله ، الذي خرق القوانين في المعجزة الأرضية ، قادر على أن يخرقها في الصعود إلى السماء .

إذن : فرحمه بعقولنا ، جعلنا الله بالدليل العقلى نتأكد من حدوث معجزة الإسراء ، حتى إذا حدثنا عن صعود رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ سَلَامًا إلى السماء ، فإننا نصدق ، فالأرض أرض الله ، والسماء سماؤه ، وهو قادر على أن **يُغَيِّر** القوانين في الأرض والسماء .

آيات السماء

ولكن أحداً منا لم يصعد إلى السماء ، ثم يعود إلى الأرض حتى يمكن أن يسأل رسول الله ﷺ أن يصف له ما في السماء ، كما سأله أن يصف لهم بيت المقدس . إذن : فالمعجزة هنا في المعراج ، لا تحتاج إلى زمن ، كما احتجت معجزة الإسراء ، فلذلك فالزمن فيها لم يذكر ، وليس عاماً هاماً يلزم وجوده .

رسول الله ﷺ رأى في السماء الأولى آدم ، وفي السماء الثانية رأى يحيى وعيسى عليهما السلام ، وفي السماء الثالثة رأى يوسف ، وفي السماء الرابعة رأى إدريس ، وفي السماء الخامسة رأى هارون ، وفي السماء السادسة رأى موسى ، وفي السماء السابعة رأى إبراهيم .. كل هؤلاء أنبياء الله .. على نبينا وعليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

هل هذا الترتيب الذي رأه الرسول للأنبياء في السموات يعني أفضلية نبى على نبى .. أم أنهم جميعاً في منزلة « عالية » ؟

نقول : إن الترتيب لا يعني أبداً أفضلية .. والله سبحانه

وتعالى يقول في كتابه العزيز :

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ بِاللَّهِ

وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرَسُولُهُ لَا نُفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِهِ .. (٢٨٥) ﴿

[البقرة]

إذن : فالتفرقـة هنا غير موجودـة ، والقرب والبعـد من الله - سبحانه وتعـالى - ليس بالمسافـات ، بل إن القرب والبعد بين الإنسان والإنسان لا تتحكم فيه المسافـة الماديـة ، فقد يكون هناك إنسان يجلس إلى جوارك ، بيـنـك وبينـه أمـتـار ، ومع ذلك فهو بعيد عنـك ، لا يخطر على بالـك ولا تحسـ به ، وإنـسانـ بعيد عنـك مـئـات الأمـيـال ، ومع ذلك فهو قـرـيبـ من نفسـك ، فـأـنتـ تـفـكـرـ فيه طـولـ الوقت ، وـتـحسـ به كلـ لـحظـة ، وهو أـقـرـبـ إلى نفسـك مـمـنـ يـعـيشـونـ معـكـ .

وهـذا يـفـسـرـ لـنـا مـعـنى قـرـبـ اللهـ مـنـ النـاسـ ، لأنـهمـ مشـغـلـوـنـ بـهـ وـبـعـبـادـتـهـ ، وـذـكـرـهـ وـتـسـبـيـحـهـ ، وـلاـ يـدـخـلـ فـيـ ذلكـ المسـافـاتـ .

معنى مشاهد المعراج

رسول الله ﷺ رأى أشياء كثيرة في المعراج ، لن نتعرض لها جميعاً ، ولكننا سنعطي فقط بعض الأمثلة .

من رسول الله ﷺ على قوم يزرون ويحصدون في يوم ، وكلما حصدوا ، عاد الزرع في نفس ساعة الحصاد كما كان قبل أن يُحصد ، فسأل جبريل : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء هم المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فإنه يُضاعف لهم .

ورأى - عليه الصلاة والسلام - امرأة عجوزاً حاسرة عن ذراعيها ، عليها من كل زينة ، فلما سأله رسول الله ﷺ عنها . قال جبريل : هذه هي الدنيا . وهذا المثل يُقرب إلينا معنى الحياة الدنيا ، وهي أنها تغرى الناس بزينتها وتفتنهم ، ولكنهم لا يأخذون منها شيئاً .

لماذا رأى رسول الله ﷺ الدنيا في صورة امرأة عجوز؟ .. لأنه لم يبقَ من عمر الدنيا الكثير ، فرسول الله ﷺ يقول : « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بأصبعيه .. وهذا دليل على أن الساعة قد اقتربت ، ولم يبق من عمر الدنيا الكثير ؛ ولذلك فهي تبدو كامرأة عجوز .

ولكن الإنسان لا يجب أن يشغل نفسه بعمر الدنيا؛ لأن عمر الدنيا لا يقاس بما بقى من حياة الكون ، ولكن يقاس بعمرك أنت فيها ، وإذا كان متوسط عمر الإنسان ستين أو سبعين سنة ، فبقاوئك في الدنيا قصير ، محدود بعمرك وينتهي .

فكأن الدنيا مهما أعطتكم ، فإن عمرها بالنسبة لكم قصير ، ستون أو سبعون سنة ؛ ولذلك فهي تبدو دائمة كامرأة عجوز ؛ لأن الإنسان لا يمكنه فيها إلا قليلاً .

الرؤوس والصلوة

ثم رأى رسول الله ﷺ أشخاصاً يررضخون رؤوسهم بالصخر ، أى : يضربونها بالصخر بشدة ، حتى تُشق وتسيل منها الدماء ، ثم تعود كما كانت ، ويعودون هم مرة أخرى ليضربوا رؤوسهم بقوة في الصخر ، ثم تعود كما كانت فقال الرسول الكريم : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة .

هذا المثل يرينا أن العقوبة تأتي من واقع الأوامر المنهجية ، فكما عُرض على رسول الله ﷺ اللبن والخمر .. فاختار اللبن .. فقيل : هُدِيتَ إلى الفطرة .. لأن الفطرة بطبعتها نقية ، واللبن نشربه لا صنعة للإنسان فيه ، بينما الخمر لا بد أن نترك الثمر الذي تصنع منه حتى يتغفن ويتحمر .

واللبن لأننا نشربه كما خلقه الله يحفظ لنا عقولنا وأجسادنا سليمة ... بينما الخمر - لأنها دخلت فيها صناعة البشر - تُفسد العقل وتعطله ، والله - سبحانه وتعالى - يريد عقل الإنسان واعيّاً ، حتى ينفذ التكاليف من صلاة وزكاة وصيام وغير ذلك .

هذا العقل عندما تُغيّبه بالخمر فكأنك - بفعلك هذا - ردتْ على الله نعمته الكبرى التي تمكّنك من أداء

التكاليف . فكيف تصلى ، أو تصوم ، وعكلك غائب ؟ !
إذن : تغيب العقل هنا جريمة كبرى في حق التكليف ،
فإذا جئنا إلى المتكاسلين عن الصلاة ، فإن الذي يجعل
الإنسان يتکاسل عن الصلاة .. هو عقله وفكره .. لأن
العقل يصور له أنه لو ترك البيع .. فسيُفلس وسيذهب
رزقه ، فيستمر في التجارة ويتكاسل عن الصلاة ، أو
يفكر في مشاكل أخرى خاصة بحركة الحياة ، ويتكاسل
عن الصلاة ؛ ولذلك جاء العقاب في المكان الذي يوجد
فيه العقل مناط التكليف ، لأن المجنون والذى لا يكتمل
عقله لا يُكلف .

ورأى رسول الله ﷺ خلال المعراج ، قوماً تُقرض
أستانهم وشفاهم بمقاريض من حديد ، كلما قُرِضَتْ
عادت كما كانت ، فسأل : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ قال :
هؤلاء خطباء الفتنة ، الذين يقولون ما لا يفعلون ، وأى
شيء في الدنيا قد لا يتأثر في الفصل بين القول
والفعل .. قدر تأثر منهج الله ، ذلك أن عالم الدين لا بد
أن يكون قدوة ، حتى يتبعه الناس ويستمعوا له .

فعلم الكيمياء مثلاً أو الفلك أو الهندسة .. قد يفعل
ما يشاء من سلوك غير قويم .. ولكن هذا لا يؤثر على أن
يأخذ عنه الناس علم الهندسة أو الطب أو الكيمياء أو غير

ذلك ، إلا عالم الدين ، إذا لم يكن قدوة دينية وسلوكية ، انصرف عنه الناس ، ورفضوا أن يأخذوا عنه دينهم . ولذلك ؛ فإن خطباء الفتنة هؤلاء الذين قالوا شيئاً ، وفعلوا شيئاً مخالفًا ، صرفوا الناس عن دينهم ؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - قد مكّنهم من الدين ومن وَعْظِ الناس ، ومع ذلك لم يرعوا هذه النعمة بأن يكونوا قدوة دينية سلوكية ، ويعملوا بمنهج الله ، بل انطلقوا يفعلون غير ما أمر به الله ، وعندما أحسَّ الناس بذلك رفضوا أن يأخذوا عنهم العلم وضلّوا .

ولذلك تُفرض شفاههم وأسلوبهم التي كانت سبباً في أن ينصرف الناس عن الدين ، وأن يبتعدوا عن منهج الله .

ويلفتنا الحق - تبارك وتعالى - إلى ذلك فيقول :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مُقْتَأْعِنَةً اللَّهَ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)﴾ [الصف]

مسئوليّة الكلمة

ورأى رسول الله ﷺ صخرة يخرج منها ثور كبير ،
ويريد الثور أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع .. قال
جبريل لما سأله رسول الله ﷺ : إن هذا مثل الرجل
يعطى الوعد ويقسم عليه ، ثم لا يستطيع أن يفي به ،
ولا أن يرجع فيما وعد وأقسم .

ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى يطالعنا بآلاً نكثُر من
القسم ، وألاً نعد بشيء ، إلا ونحن قادرُون على الوفاء
به ؛ ولذلك يقول الحق جل جلاله :

﴿وَلَا تَتَخَذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرْلُ قَدْمٌ بَعْدَ ثَبُوتِهَا وَتَذُوقُوا
السُّوءَ بِمَا صَدَّقْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل] ٩٤

وقوله تبارك وتعالى :

﴿وَأَوْفُوا بِعِهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ
تَوْكِيدهَا .. ﴾ [النحل] ٩١

والرجل يقول الكلمة ويعطي العهد ، وقد لا يتتبّه أن
عليها حساباً ، ويحاول الرجوع فيها فلا يستطيع .

على أن هناك مرائى كثيرة .. رأها رسول الله ﷺ في
المعراج ، وهناك الآية الكبرى التي أراها له الله ، وهناك
سدرة المنتهى التي وصل إليها رسول الله ﷺ ، وهناك
الكثير مما سنتحدث عنه .

الفصل السادس

الأية الكبرى



ما زلنا مع ما رأه رسول الله ﷺ في معجزة المراج ،
ووصوله إلى سدرة المنتهى ، وإذا
كنا سنعرض لبعض ما رأه رسول الله ﷺ فإننا سنعطي أمثلة فقط ؛
لأننا لن نستطيع الإحاطة بكل الروايات .

والناس في الدنيا مشغولون بشيئين : المال يجمعونه من حلال وحرام ، وأعراض الناس يعتدون عليها قولاً وفعلاً .

إذن : فالمال والعرض هما أساس الفساد في الأرض ، المال رأه رسول الله ﷺ فيما سيتعرض له أكلة الربا ، فقد رأى رسولنا - عليه الصلاة والسلام - قوماً يسبحون في بحر من دم ، ويلقون الحجارة بأفواهم ، فسأل عنهم جبريل عليه السلام . فقال : هؤلاء أكلة الربا .

وهذا تجسيد مادي لما يفعله أكلة الربا ، ذلك أن الدم حين يكون في الجسد يكون نافعاً ، وحين يخرج من الجسد يكون فاسداً لا فائدة منه ، فكان هؤلاء الذين يأكلون الربا ، هم الذين أخرجوا المال عن وظيفته النافعة في الحياة ليفسدوه بالربا ، وبذلك يكونون قد منعوا المال

من أن يؤدي دوره في حركة الحياة ، فيضيئ الاقتصاد في الأرض ، ولذلك فهم استبدلوا بالغذاء النافع للإنسان .. لِقُمُّ الحجارة التي لا تنفع .
والربا معناه أن يزداد الغنى غنىًّا والفقير فقرًا ..
وليست هذه هي وظيفة المال في الدنيا ، لأن المال يستخدم في عمارة الأرض وفتح أبواب العمل للناس ، والتصدق على الفقير والمحتج ، ولكن الربا بدلاً من أن يجعل الدم يجري في العروق ، ليعطي الإنسان القدرة على العمل والإنتاج ، أخرجه من العروق ليصبح وسيلة لعدم العمل وعدم عمارة الأرض .

فالمرابي لا يزداد ماله بالعمل ، ولكن باستغلال حاجة الناس ، وهؤلاء أكلة الربا في بطونهم النار ، والنار وقودها الحجارة ؛ ولذلك فهم يُلْقِمُون الحجارة حتى تستمر النار مشتعلة في بطونهم لا تنطفئ أبداً ، فهم بألقابهم للحجارة ضمان لاستمرار الوقود حتى لا تنطفئ النار .

أما عن الأعراض التي تمثل الفساد الثاني في الكون ، فقد رأها رسول الله ﷺ في صورة الذين يعتدون على أعراض الناس قوله وفعلاً ، والذين يعتدون على أعراض الناس قوله لهم أظافر من نحاس يخدشون بها

وجوهم وصدورهم ، والوجه هو أكرم شيء في
الإنسان .

فأنت عندما تريد أن تذل إنساناً .. تقول : إنك وضعت
أنفه في التراب ، ومعنى ذلك منتهى الذلة ، وهؤلاء قد
اعتدوا على أعراض الناس قولًا .. وشوّهوا صورتهم ،
فيأتي الله بهم يوم القيمة ، ليشوّهوا أكرم شيء فيهم
وهو الوجه ، جزاءً بما شوّهوا به صور الناس .

الحلال والحرام

ورأى رسول الله ﷺ أناساً يتذمرون اللحم الطيب أمامهم ويأكلون اللحم النتن ، فسأل جبريل عنهم فقال : هؤلاء هم الزناة .. الرجل تكون عنده المرأة حلالاً طيباً ، فيتركها ويدهب إلى المرأة في الحرام ، والمرأة يكون عندها الرجل حلالاً طيباً ، وتذهب إلى الرجل في الحرام .

ورأى رسول الله - عليه الصلاة والسلام - رجلاً يحمل حملاً لا يقدر عليه ، ثم يمد يده إلى شيء آخر ليزيد حمله ، وقال جبريل : هؤلاء هم الذين يحملون الأمانات ويعجزون عن أدائها ، ومع ذلك يحبون أن يزيدوا ظهورهم حملاً بقبول أمانات جديدة .

هذه هي بعض المرائى التي رأها رسول الله ﷺ .

وقد يتساءل بعض الناس : كيف رأى رسول الله المتкаسل عن الصلاة ؟ مع أن الصلاة المكتوبة في الإسلام لم تكن فُرِضَتْ ، وكيف رأى كل ما رأى مع أنه لم يأت زمانه بعد ؟

نقول : إن الله - سبحانه وتعالى - عالم غيب السماوات والأرض ، كل شيء موجود في علمه .

وإذا كنا نحن البشر إذا أردنا أن نبني عمارة ، جعلنا لها نموذجاً مُصغرًا يُسمى « ماكيت » وكلما كان المهندس

بارعاً كان هذا النموذج بالغ الدقة والتفاصيل ، فكيف بالله - سبحانه وتعالى - وهو المبدع الأعظم لهذا الكون .. عنده صورة لما سيحدث في كونه ، من بداية الخلق إلى الخلود في الجنة أو النار ، وما سيحدث بعد ذلك ، مما لا يعلمه إلا الله .

إذا كان المهندس البشري كلما كان بارعاً ، قامت العمارة وفق النموذج الذي أعدّه لا يختلف عنه ، كذلك عمارة الكون تتم وفق علم الله القدير الذي لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماوات ، والتنفيذ هنا بقدرة الخالق ، وما دام الله - سبحانه وتعالى - وحده ، عنده غَيْب السماوات والأرض ، ففي علمه كل شيء ، وكما قلنا ، فإن عنده جل جلاله أموراً يبديها ولا يبتهجها .

ما هي سدرة المنتهى؟

وظل رسول الله ﷺ ومعه جبريل يصعدان حتى وصلوا إلى سدرة المنتهى ، وسدرة المنتهى هي المكان الذي ينتهي عنده علم الخلائق كلها ، ولو بالوحى .

إذن : فسدرة المنتهى هي التي ينتهي عندها علم خلق الله سبحانه وتعالى ، إنساً وجناً وملائكة ، حتى الأشياء التي تُوحى .. تقف في العلم عند سدرة المنتهى .

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٢) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةً الْمَأْوَى (١٥)﴾ [النجم]

وهنا نسأل : من الذي رأه الرسول مرتين أخرى ؟
يقال : إنه جبريل .. رأه في صورته كما كان ينزل بالوحى طوال رحلة الإسراء ، ثم رأه في صورته الملائكية الحقيقية مرتين أخرى عند سدرة المنتهى .

ولابد أن نفهم أن القوانين التي خضع رسول الله ﷺ لها عند سدرة المنتهى ، كانت أرقى قوانين الخلق ؛ لأنها وصلت إلى المكان الذي ينتهي عنده علم الخلق كلهم ، وعند سدرة المنتهى لا يمكن لأى مخلوق من مخلوقات

الله .. أنْ يصفَها أو يصِفَ جنةَ المأوى ..
إنَّ العلمَ لكيَ ينتقلَ منَ بشرٍ إلى آخر .. لابدُّ لهُ من
أسلوبٍ ، والأسلوب يحتاجُ إلى اللغة ، واللغة تحتاجُ إلى
توضيحٍ ، والتوضيح يوجبُ علينا أنَّ يوجدَ المعنى أولاً ..
ثمَّ بعدَ ذلك يُوجَدُ لهُ اللفظ ، وهذهُ أمورٌ لم تسمعُها آذاننا
ولم ترَها عيوننا ، ولم تدركها عقولنا ، ولا خطرتُ على
قلوبنا .. كيف نضعُ لها ألفاظاً ؟

لابدُّ أنَّ نأخذُها عنَ الله - سبحانه وتعالى - بما أخبرنا
به ، دونَ أن نسأل : كيف ؟ أو نحاول الحصول على
توضيحٍ ؛ لأنَّنا عاجزون ، فإذا أخبرنا الحق - سبحانه
وتعالى - بشيءٍ يُقرِّبُ الصورةَ إلينا فإنَّنا نأخذُهُ عندَ قولِ
الله تبارك وتعالى .

ولذلكَ عندما يُحدِّثنا الله - سبحانه وتعالى - عنِ
الجنة ، فإنه لا يعطينا صورتها ؛ لأنَّه ليس عندَنا معانٍ
تعطينا الصورةَ الحقيقة ، ولكنه جل جلاله يقول :
﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا
دَائِمٌ وَظِلُّهَا ..﴾ [الرعد: ٢٥]

ولكنَّ هل هذه هى الجنة ؟ إنَّها مثلاً فقط ؛ لأنَّ الجنة
فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على

قلب بشر ، فلا يمكن أن يستوعب العقل البشري ما فيها ،
ولكن الحق - سبحانه وتعالى - يُقرّب الصورة إلينا بقدر
ما تفهم عقولنا المحدودة .

فإذا وصلنا إلى المرحلة التي يدخل فيها المؤمنون
الجنة ، فإننا سنرى - إن شاء الله - نعيمًا لا يعرفه أهل
الأرض ، وليس لهم إلْفٌ به : لأنه فوق قدرة عقولنا
جميعاً .

آلية الكبواه

الحق عز وجل يقول :

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبُرَى﴾ (١٨)

[النجم] وإذا تدبرنا هذه الآية .. لوجدنا أنها إخبار من الله - سبحانه وتعالى - لنا ، وليس إخباراً من رسوله ﷺ .. رسول الله - عليه الصلاة والسلام - لم يقل : رأيت الآية الكبرى ، ولكن الله عز وجل هو الذي أخبرنا بها ، ولكن هل أخبرنا الحق - سبحانه وتعالى - بها .. لأننا سنفهم أو سنعرف ؟ أو تستطيع عقولنا أن تستوعب ما هي الآية الكبرى الله سبحانه وتعالى ؟ طبعاً لا ، فنحن قاصرون عن فهم آيات كثيرة الله - تبارك وتعالى - مما بالك بالآية الكبرى !؟

إن الله جل جلاله آيات لا تُعدُّ ولا تُحصى ، آيات نراها وندركها ، وأيات هي غَيْبٌ عَنَّا في الأرض وفي السماء ، لا نراها ولا ندركها ، والكون كله آيات قد لا نتبه إلا للقليل منها .

ولقد ورد اسم الآية الكبرى بالنسبة لموسى - عليه السلام - في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بِيَضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ (٢٢) لنريكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبُرَى (٢٢)

[طه]

نقول : إن الله - سبحانه وتعالى - آيات كبرى في الأرض ، وأيات كبرى في السماء ، ولقد رأى موسى عليه السلام الآية الكبرى في الأرض ، أما رسولنا ﷺ فقد رأى آية ربه الكبرى في السماء .

أخبرنا الله جل جلاله أنه أرى رسولنا الكريم الآية الكبرى في السماء ، وهذا الإخبار ليس مقصوداً به أن نفهم ونعرف ما هي الآية الكبرى لله - سبحانه وتعالى - لأنها كما قلنا : فوق طاقة عقولنا ، ولكن المقصود بها هو أن نعرف المنزلة الرفيعة لرسول الله ﷺ عند ربه .

وما دام رسول الله - عليه الصلاة والسلام - قد رأى الآية الكبرى ، فلا بدّ أنه رأى قبلها آيات وأيات ، ولكن بعض المفسرين يقولون : إن معنى قوله تعالى :

﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم]

أن رسول الله ﷺ رأى الآيات الكبرى لله . أى : الآيات العظيمة لله سبحانه وتعالى ، وأن الكبرى وصف للآيات بأنها كبرى ، ولكن السياق يؤكد أن رسول الله ﷺ رأى الآية الكبرى من آيات ربه ، فآيات الله التي رأها رسوله الكريم في السماوات كلها آيات كبرى ، وحسبها عظمة أنها منسوبة لله سبحانه وتعالى .

ولكن هناك آية كبرى رأها رسولنا - عليه الصلاة

والسلام - تقف العقول عندها بلا حركة .. ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم] لو أخذناها بالسياق اللغوى ، لكان معناها : لقد رأى الآية الكبرى من آيات ربه ، فكأن الكبرى هي المفعول ، وليس وصف الآية . ولذلك عندما نقرأ الآية الكريمة : ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ..﴾ [النجم] ماذا رأى من هذه الآيات ؟ رأى الآية الكبرى ، ولقد كانت رؤية رسول الله ﷺ للآية الكبرى هي المرحلة الأخيرة فى رحلة المعراج .

وقف جبريل .. وتقديم الرسول

لقد كان جبريل عليه السلام يصاحب رسول الله ﷺ طوال رحلته في السماوات ، ولكن الآية الكبيرة لم يقدر عليها جبريل ، ولا أحد من الملائكة المقربين لله - سبحانه وتعالى - بل انفرد برؤيتها رسولنا الكريم .

ولذلك ، فإن جبريل كان يتقدم رسولنا الكريم ، ويسأله الرسول عما يرى ، ويفيده جبريل طوال رحلة المعراج .

وعندما وصلا إلى سدرة المنتهى ، حيث رأى رسولنا الكريم جبريل على الهيئة التي خلقه الله عليها ، وليس على الهيئة التي كان ينزل بها في الوحي ، عندما وصل رسول الله ﷺ وجبريل إلى سدرة المنتهى .. لم تكن رحلة المعراج قد انتهت ، وإنما كان لها بقية ، فأراد رسول الله ﷺ من جبريل أن يتقدمه في بقية الرحلة ، كما حدث في المعراج كله ، ولكن جبريل امتنع وقال : هنا مقامي .. لو تقدمت لاحتربت .. وأنت يا رسول الله لو تقدمت لاحتربت ..

ما معنى هذه الجملة ؟ معناها : أن قوانين ملائكة جبريل لا تسمح له إلا بالوصول إلى سدرة المنتهى ، وهي - كما قلنا - التي ينتهي عندها علم الخلائق كلها ولو بالوحي ؛ ولذلك فإنه إذا تقدم فإن قانونه لا يتحمل فيحترق .

درجة لا تتحملها الملائكة

ومعنى ذلك أن رسول الله ﷺ قد وصل إلى درجة لا تتحملها ملائكة جبريل عليه السلام ، فأصبح رسولنا الكريم وحده الذي يستطيع أن يتقدم وأن يخترق .

وبهذا تكون الآية الكبرى هي المرحلة الأخيرة للمراج
التي لم يقدر عليها جبريل ، ولا أحد من الملائكة ، وانفرد
رسول الله ﷺ بها .

ولقد رأى رسولنا ﷺ خلال رحلة المراج مشاهد
كثيرة ، رأها رمزاً مقدوراً ، وسنراها رمزاً مفعولاً بالنسبة
للناس في الآخرة .

والحق - سبحانه وتعالى - يُحکم آياته في كل ما يقع
في الكون ، فهو بعلمه وقدرته يَحکم الآيات حتى في
الأمور التي للبشر اختيار فيها .

ولذلك عندما نزلت الآيات الكريمة
﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢)
سِيَصْلِي نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣)﴾ [المسد]

هذه الآية أخبرتنا بمصير أبي لهب ، وهو ما زال على
قيد الحياة أى : في فترة الاختيار البشري ، ومع ذلك
فإإن أبو لهب لم يخطر على باله أن يعلن إسلامه ولو نفاقاً
أو رباء ، ليهدم قضية الدين ، بل بقى على كفره ؛ ليكون

- وهو الكافر - آية على صدق القرآن الكريم .
وعندما نزلت الآية الكريمة :

﴿ إِنَّمَا (١) غَلَبْتُ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ
غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَعْضِ سِنِينِ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ
وَيَوْمَئِذٍ يُفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) ﴾ [الروم]

لم يخطر على بال أحد من الروم أو الفرس أن يتقدم
لعقد صلح أو إنهاء حرب ليهدم الدين الجديد ، ورغم أنه
قد مر حوالي تسع سنوات ، بين نزول الآية الكريمة
وانتصار الروم ، وكان هذا الزمن كافياً جداً ، ليعقد
الفرس والروم صلحاً ويتجنبوا الحرب ، فإن هذا لم
يحدث ووقعت الحرب وانتصر الروم كما أخبر القرآن .

كل هذا يرينا أن المشاهد التي رأها رسول الله ﷺ
وهي واقع مقدر أي : ما زال في قدر الله ستتحقق لما
رأها رسولنا الكريم ، وسنراها واقعاً في الآخرة .

حقيقة وصاية موسى

إلى هنا ونأتى إلى النقطة الأخيرة .. وهى : فرض الصلاة ، وكل أركان الإسلام وأحكامه جاءت بالوحى ، إلا الصلاة ، فإنها فُرضت بالأمر المباشر من الله - سبحانه وتعالى - فالصلاحة هي الصلة بين السماء والأرض ، وهى صلة العبد بربه ، وهى الرمز لعبودية الإنسان للخالق العظيم .

وكما قلنا .. فإن كل الرسالات السماوية جاءت لتبيّن للناس : كيف يعبدون الله ، العقل البشري يستطيع أن يصل إلى أن هناك قوة كبرى هي التي خلقتْ وأوجدت هذا الكون ، ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى ما يريده الله من خلقه ، وكيف يعبدونه ؟ وما هو منهج الخالق العظيم ؟

والصلاحة هي جامعه لأحكام الدين كله ، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيمة ، فإن صلحتْ صلح الدين كله ، ولذلك ، لعظيم قدر الصلاة التي فيها العبودية الحقة لله والسجود له ، فُرضتْ بالأمر المباشر من الله جل جلاله ، إلى رسوله ﷺ .

وستتحدث تفصيلاً عن الصلاة في كتب قادمة تصدر عن هذه المكتبة .. إن شاء الله .

الصلاوة المفروضة من الحق - سبحانه وتعالى -
عبادة تُقرِّبك من الله ، أو تُقرِّبك من خالقك ، فهى
لا تعطيك مالاً ولا جاهماً .. ولا أى شيء دنيوى ،
والإنسان صناعة الله تبارك وتعالى ، فالله هو خالقه ،
وكل صنعة تقف أمام مهندسها ومُوجدها كل يوم خمس
مرات ، لا بد أن تكون على أوفى شيء من الصلاح .
وإذا كان المهندس من البشر يصلح الآلة بالماديات ،
فالله - سبحانه وتعالى - يصلح عبده - الذي يقف بين
يديه خمس مرات كل يوم - بالغيبيات ، فتجد أنك بعد
الصلاوة قد ارتاحت نفسك وزالت همومك ، وأصبحت قوياً
في مواجهة أحداث الحياة .

وأركان الإسلام الأخرى قد تسقط عن العبد ، فالفقير
تسقط عنه الزكاة ، والمريض يسقط عنه الصوم ، وغير
المستطيع يسقط عنه الحج ، ولكن الصلاة لا تسقط عن
المؤمن أبداً . فإنه إذا لم يستطع أن يصلى واقفاً صلى
جالساً ، فإن لم يستطع صلى راكداً ، فإذا لم يستطع
أجرى الصلاة على جوارحه ، ولذلك فهى لا تسقط أبداً .
وإذا أردنا أن ندخل في الموضوع .. وهو فرض
الصلاوة . فالروايات قالت : إن الله - سبحانه وتعالى -

فرض خمسين صلاة في اليوم والليلة .. وعندما التقى رسول الله ﷺ وهو عائد بموسى عليه السلام ، قال له : ارجع إلى ربك واسأله التخفيف .. وتكرر هذا حتى صارت خمساً في الأداء .. وخمسين في الثواب .

هنا يجب أن نفرق بين عداوتنا لليهود وموسى عليه السلام . فموسى رسول من أولى العزم ، ولا يجب أن يكون في نفوسنا له إلا الحب والتقدير ، بصرف النظر عن شعورنا نحو اليهود ، الذين بدّلوا وغيّروا في التوراة ، ولو أن هؤلاء كانوا أتباع موسى حقاً لأنّهم في محمد - عليه الصلاة والسلام - لأنّه مذكور عندهم في التوراة ، ولكن اليهود أتباع موسى اسماء .. وليسوا أتباعه حقاً .

لقد قالوا : إن لقاء رسولنا ﷺ بموسى ، وما تبعه من تخفيف الصلاة ، هو فرض لوصاية موسى على الإسلام ، وهذا غير صحيح .

ما هي الوصاية ؟ هي أن تفرض الشيء الذي تريده ولو قهراً على صاحبه ، هل فرض موسى - عليه السلام - شيئاً على الإسلام قهراً أو اختياراً ؟ لم يحدث ذلك . وكانت هذه العبارة - عبارة الوصاية - تكون صحيحة لو أن موسى هو الذي خفف الصلاة من خمسين إلى

خمس .. ولكن من الذى خفض عدد الصلوات ؟ إنه الله جل جلاله هو سبحانه وتعالى الذى فرض ، وهو سبحانه وتعالى الذى خف ، فأين الوصاية والأمر كله من الله . رسولنا ﷺ عاد لمصدر التشريع الأصلى ، ومنه أخذ الأمر ، ومنه كان التشريع ، فكيف يقال : إن هناك وصاية من أحد ؟ والأمر كله لله .

إذا كان هناك شيء يستدل عليه من تخفيف عدد الصلوات وإبقاء ثوابها دون أى نقصان ، فهو أن الله - سبحانه وتعالى - كان رحيمًا بأمة محمد - عليه الصلاة والسلام - فأبقي الثواب كما هو لم ينقص ، مع تخفيف عدد الصلوات .

إذن : فالوصاية هنا هي الله - سبحانه وتعالى - وحده ، فهو جل جلاله الذى شرع ، وهو الذى خف ، ولا يمكن أن يقال أى تفسير آخر .

إلى هنا ونتهى من حديثنا ، عن معجزة الإسراء والمعراج .. تلك المعجزة التى فاقت كل المعجزات .. فقد أُسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .. وعُرِج به إلى سدرة المنتهى ، و «رأى من آيات ربِّهِ الْكَبِيرِ (١٨) [النجم] »

وهنا نلاحظ أن الله - سبحانه وتعالى - قد قال :
﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم] ولم يقل :
أَرَيْنَاهُ .. لماذا ؟ لأن رسول الله ﷺ في هذه المنزلة
العالية رأى بنفسه ، ولم يكن في حاجة إلى إرادة ، لأنها
منزلة عالية جداً ، ليس فيها ما يحجب الرؤية .
والله نسأل التوفيق والهدى .

الفهرس

صفحة

| | |
|---------------------|---------------------------|
| الفصل الأول : | |
| قبل المعجزة | |
| ٣ | ■ الرسول والرسالة |
| ٥ | ■ الحق والظلم |
| ٩ | ■ محاولة التشكيك والتعذيب |
| ١٢ | ■ بشارة السماء |
| ١٤ | ■ وزاد جنون قريش |
| ١٨ | ■ وجاء مدد السماء |
| ٢٠ | |
| الفصل الثاني : | |
| سبحان الذي أسرى | |
| ٢٣ | ■ الفعل لله |
| ٢٧ | ■ معنى سبحان |
| ٣١ | ■ الإسراء بالروح والجسد |
| ٣٤ | ■ العبد والرسول |
| ٣٧ | |
| الفصل الثالث : | |
| لماذا كانت غياباً ؟ | |
| ٤١ | ■ رؤيا الرسول تتحقق |
| ٤٦ | |

صفحة

| | |
|----|------------------------------|
| ٤٩ | ■ وجاء جبريل |
| ٥٠ | ■ معجزة غيبية .. لماذا؟ |
| ٥٤ | ■ المعجزة ودليل العقل |
| ٥٧ | ■ الذين ارتدوا |
| ٥٩ | ■ وحققت المعجزة هدفين |
| | الفصل الرابع : |
| ٦١ | من مكة إلى بيت المقدس |
| ٦٦ | ■ معنى المسجد الحرام |
| ٦٨ | ■ السجود والإنسان |
| ٧١ | ■ ما هي البركة؟ |
| ٧٤ | ■ ورأى الرسول آيات |
| ٧٧ | ■ صلاة الرسول بالأنبياء |
| | • الفصل الخامس : |
| ٨١ | آيات السماء |
| ٨٦ | ■ الأدنى والأعلى |
| ٨٨ | ■ وتغيرت القوانين |
| ٩١ | ■ فوق قدرة العقول |
| ٩٤ | ■ آيات السماء |
| ٩٦ | ■ معنى مشاهد المراج |
| ٩٨ | ■ الرؤوس والصلة |

صفحة

١٠١

■ مسئولية الكلمة

الفصل السادس :

الأية الكبرى

١٠٣

■ الحلال والحرام

١٠٨

■ ما هي سدرة المنتهى ؟

١١٠

■ الآية الكبرى

١١٣

■ وقف جبريل .. وتقدم الرسول

١١٦

■ درجة لا تتحملها الملائكة

١١٧

■ حقيقة وصاية موسى

١١٩

رقم الإيداع ٩٧/٥٨٦١

الترقيم الدولي

I. S. B. N.

977 - 08 - 0336 - 7

طبع بمطابع دار أخبار اليوم